
صورة العرب
في السينما
العالمية
بعد 11 سبتمبر
أحمد عاطف

صورة العرب في السينما العالمية

ظلّت السينما العالمية، خاصة سينما (هوليوود)، لسنوات طويلة، تقدم شخصية العربى فى صورة كاريكاتورية غالبًا، ومهينة أحيانًا.

ويبدو أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر، قد غيرت من هذه الظاهرة، إلى حد توقف ظهور شخصية العربى والسخرية منها طوال ثلاث سنوات بعد ١١ سبتمبر.

وبدءًا من عام ٢٠٠٥ ظهر طوفان من الأفلام (الهوليوودية)، تجاوزت العشرة أفلام تتحدث عن قضايا عربية، أو تحلل شخصية العربى وتبحث فى حياته وأفكاره؛ لعلها تكتشف أسرار ١١ سبتمبر.

ويأتى هذا الكتاب ليتناول هذه الظاهرة، بالتحليل والدراسة.

ISBN# 9879779103587





الهيئة المصرية العامة للكتاب

صورة العرب

فى السينما العالمية بعد ١١ سبتمبر

تأليف

أحمد عاطف



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٥

عاطف، أحمد.
صورة العرب فى السينما العالمية بعد ١١ سبتمبر/ تأليف: أحمد عاطف. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥.
١٥٢ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٧ ٠٣٥٨ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ السياسة فى السينما.
٢ ـ السينما ـ الجوانب السياسية.
٣ ـ السياسة فى الفن.
أ ـ العنوان
رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٩٦٢/ ٢٠١٥
I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 0358 - 7
ديوى ٧٩١,٤٣٧

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
أ. حلمى النمنم

اسم الكتاب : صورة العرب
في السينما العالمية بعد ١١ سبتمبر
تأليف : أحمد عاطف

الإخراج الفنى : مادلين أيوب فرج

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg

إهداء

إلى اسم المستشرقة الألمانية
زيجريدهونكه: جسر حقيقى
للتواصل بين الشرق والغرب

المقدمة

«رائع هو الشرق.. القائم خلف البحر المتوسط فالذى يحب حافظًا ويعرفه.. يعلم وحده ما أنشده كالديرون» (جوته من ديوان الشرق والغرب) الغرب، هذا الكيان غير المعين جغرافيًا بشكل محدود، الذى يفرض على الأرض كافة رؤيته لكيفية تسيير أمور العالم، مَنّ هو، ما الذى أعطاه تلك المكانة المهيمنة؟ كيف توصل إلى امتلاك كل هذا التفوق؟ هل هو نموذج يحتذى أم توجد نماذج أخرى تستطيع أن تعرض نفسها على بقية أنحاء الكرة الأرضية لكى تخرج من الحالة التى هى عليها.. فتلحق بهذا الغرب المتفوق دون أن تتغرب؟ هل الغرب الثقافى هو الشمال الاقتصادى والسياسى بالنسبة لجنوب يضم باقى الكرة الأرضية المعذبة فى الأرض.. هكذا تقول صوفى بيسيس فى كتابها «الغرب والآخرون» إن علاقتى بالغرب هى التى ملأت جوانب كثيرة فى تكوينى الثقافى والإنسانى.. فقد درست فى مدارسها الفرنسية بالقاهرة وفى جامعاتها بأمريكا.. ثم حلمت بالسفر إليها.. وعملت مع مؤسساتها الأوروبية وعرضت أفلامه كمخرج فى مهرجاناتها وتمنيت منها دومًا الاعتراف بموهبتى.. وبدوت مؤرقًا - كالكثيرين غيرى - فى تناقض مشاعرى تجاهها.. فكيف نخطب ود الغرب ونتمنى رضاه فى حين أن الغرب فى جانب كبير منه استلبنا وتوحش فينا وعاملنا معاملة

السيد للعبيد. وخرجت من مرحلة الانبهار بالغرب إلى مرحلة نقده ومحاورته.. وفى الوقت نفسه ارتحلت بشكل متوازٍ فى رحلة أكبر لاكتشاف الذات.. أو قل لاكتشاف الثقافتين العربية والإسلامية بأكملها. لأعرف فى النهاية أن التأثير المتبادل بين الحضارات هو الذى صنع البشرية. مع إقرار الكثير من المؤرخين أن جانبًا كبيرًا مما وصلت إليه الحضارة الغربية بسبب ما استمدته (وأحيانا ما سرقته) من الحضارتين العربية والإسلامية. ويكفى كتاب الألمانية زيجرد هونكه «شمس العرب تسطع على الغرب» وكتاب عباس محمود العقاد «أثر العرب فى الحضارة الأوروبية» لاكتشاف مئات (وربما آلاف) من أنواع التأثيرات. لكن يظل التأثير الأكبر وقتما كانت أوروبا تعيش فى جهالة العصور الوسطى.. وكانت شمس الحضارة العربية (وعلى الأخص حضارة الأندلس) هى التى تحفظ للعلوم والفنون ازدهارهما. وكانت أن أصبحت هى الجسر الرئيسى (وربما الوحيد) التى عبرت عليه أوروبا من ظلام الليل إلى شمس عصر النهضة التى قامت عليها أوروبا الحديثة. أما فى السينما وهى مقصدنا الآن.. فقد ظل الغرب - بأفلامه وتكنولوجيته ومهرجاناته - هو المثل الأعلى للسينمائيين العرب. ولهذا بدأت أفكر فى أن تكون علاقتنا بالغرب هى أحد مشروعاتى البحثية الكبرى. وهذا الكتاب هو أول خطوة فى هذا المشروع. ورغم أنه (فى أغلب فصوله) عبارة عن مقالات نشرت لى فى الصحافة المصرية بما فى ذلك من إيجاز تحتمه ظروف مساحة النشر، أو من تبسيط مقصود لكى يصل لقارئ الصحيفة - والذى قد يكون شخصًا يعرف القراءة بالكاد - إلا أن الكتاب يعطى صورة واسعة لعلاقتنا السينمائية مع الغرب من خلال عدة مباحث: الأفلام التى صنعها مخرجون عرب (يعيشون فى بلادهم) عن علاقتنا بالغرب. - المخرجون العرب الذين يعيشون فى الغرب وأفلامهم. - الأفلام العربية

التى عرضت فى مهرجانات سينمائية كبرى ككان وبرلين - الافلام التى أخرجها مخرجون غربيون عن علاقات عربية / إسلامية غربية. والمؤكد أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ كان لها أبلغ الأثر فى ازدياد عدد الأفلام لتناقش تلك العلاقة الجدلية بيننا وبينهم، ويعكس الكتاب حجم التنوع الكبير فى الموضوعات التى تطرحها تلك الأفلام: فمن شاب باكستانى يقع فى الحب مع فتاة إنجليزية، الى فيلم عن العلاقة بين المخابرات الأمريكية وشيوخ الخليج العربى، إلى عمل ثالث يطالب باستقلال الأكراد إلى رابع يعرض لأفكار الأصوليين الإسلاميين ويربطهم بأصوليى الولايات المتحدة الأمريكية. فضلا عن معلومات كثيرة تنشر لأول مرة مثل الفصل الخاص بالسينمائيين من أصول عربية الذين عملوا فى هوليوود ووصلوا إلى الحصول على جوائز الأوسكار. وغيرها الكثير من خيوط فى نسيج واحد جعل كلمة العرب والمسلمين تتجلى على شاشات العالم وتصبح فى قلب اهتمام الغرب. وقد اعتمدت المنهج الكرونولوجى المتصاعد بداية من ١١ سبتمبر ٢٠١١ حتى عام ٢٠١٤ فى تحليل أهم الأفلام والأحداث التى تناولت تلك العلاقة الثلاثية بين الغرب والعرب والسينما. إنه جهد إنشائى لقضية مهمة تحتاج الكثير من الاجتهادات، أملا أن يكون هذا الكتاب أول لبنة فى هذا الطموح الكبير.

كورنيش المعادى - القاهرة

الباب الأول

صورة العرب فى السينما الأمريكية
بعد ١١ سبتمبر:
ثلاث سنوات من الترقب ثم طوفان أفلام

ظلت السينما العالمية خاصة سينما هوليوود لسنوات طويلة تقدم شخصية العربى فى صورة كاريكاتورية غالبًا ومهينة أحيانًا. وقد رصد البروفيسور جاك شاهين (الأمريكى من أصل عربى) ذلك فى كتابه الشهير " شرائط العرب الأشرار... كيف تسىء هوليوود لأمة بعينها؟" وصاحب صدور الكتاب اهتمام كبير من جانب الإعلام الأمريكى أولا لكون شاهين شخصية إعلامية كبيرة ولأن الكتاب رؤية تحليلية لأكثر من ١٠٠٠ فيلم أمريكى..

ويبدو أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر قد غيرت من هذه الظاهرة إلى حد توقف ظهور شخصية العربى والسخرية منها طوال ثلاث سنوات بعد ١١ سبتمبر.. ولكن بدءًا من عام ٢٠٠٥ ظهر طوفان من الأفلام الهوليوودية الكبرى والأمريكية المستقلة تجاوزت العشرة أفلام تتحدث عن قضايا عربية أو تحلل شخصية المسلم وتبحث فى حياته وأفكاره لعلها تكتشف أسرار ١١ سبتمبر الذى لم تستوعبه العقلية الأمريكية حتى الآن. بل و يشارك ممثلون عرب فى أدوار البطولة أيضا. ويعد أهم هذه الأفلام هو "سيريانا" المأخوذ عن كتاب (لا أرى أى شيطان. القصة الحقيقية لجندى مترجل فى حرب المخابرات الأمريكية ضد الإرهاب) الذى كتبه روبرت باير. أحد أشهر

الجواسيس الأمريكيين والذى يقوم الممثل العالمى "جورج كلونى" بدوره فى الفيلم. أما مات ديمون فيقوم بدورمستشار اقتصادى لأحد شيوخ الخليج فى حين يقوم الممثل المصرى عمرو واكد بدور (محمد شيخ عجيزة) وهو دور زعيم فى جماعة أصولية.

لكن ظل أكبر الأفلام الذى يقدم شخصيات عربية هو "مملكة الجنة" للمخرج الإنجليزى العظيم ريدلى سكوت صاحب فيلم المصارع (جلادياتور). وشارك فى بطولة الفيلم الممثلان المصرى خالد النبوى والسورى غسان مسعود مع نخبة من نجوم السينما فى العالم على رأسهم اورلاندو بلوم ووليام نيسون. والفيلم الذى تدور أحداثه فى القرن الثانى عشر يحكى الصراع على القدس أثناء الحروب الصليبية ويركز على شخصية صلاح الدين الأيوبى الذى يعامل أعداءه برحمة كبيرة رغم انتصاره عليهم فى الحرب.

الفصل الأول

٢٠٠٥ : قوة العرب فى بأسهم أم فى كونهم كائنات غريبة؟

"سيريانا " (٢٠٠٥) عن علاقة أمريكا ببلاد الخليج العربى

تبدو علاقة الشرق بالغرب فى الأفلام السينمائية كمثير قلق متأرجح بين صور نمطية يمارسها كل طرف اتجاه الآخر. وبين سينما انتقامية يعوض بها السينمائيون بعضًا من الحقوق التى تهدرها السياسة . لهذا تبدوالأفلام الجادة المتخلصة من تأثيرات ذلك الصراع كأيقونات راسخة تعلى من شأن الحقيقة وترى الأشياء كما هى وليس كما يفسرها كل طرف على هواه .

سيريانا فيلم أمريكى ضخم حقق إيرادات عالية فى أغلب دول العالم قام ببطولته وشارك فى إنتاجه النجم الكبير جورج كلونى وكتبه وأخرجه ستيفن جاجان (الحائز على أوسكار عن فيلمه ترافيك) وشارك فى صناعته نخبة من مواهب هوليوود وممثلنا العربى الشاب عمرو واكد كان أحد أبطاله والفيلم مأخوذ عن كتاب " لا أرى أى شيطان " لروبرت باير أحد أهم عملاء المخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط، والذى انتقد فيه أداء ال "سى آى ايه " ورأى أن فشلها المهنى

هو سبب نجاح الإرهابيين فى مخططاتهم. وبناء الفيلم يبدو كلوحة فسيفساء ضخمة لا تظهر صورتها الكاملة إلا مع النهاية ،حيث تتابع ثلاثة خطوط درامية كل منها يبدو منقطع الصلة بالآخر. الخط الأول بطله كلونى الذى يلعب دور عميل المخابرات الذى يبدأ الفيلم وهو يمد الجماعات المتمردة فى إيران بالسلاح ونعرف من خلال قصته أن الحكومة الأمريكية تريد تغيير الحكم فى إيران. ثم خط درامى آخر بطله النجم مات ديمون الذى يلعب دور مستشار اقتصادى أمريكى مقيم بسويسرا يعمل لصالح الأمير ناصر ابن أحد ملوك دولة خليجية وخط ثالث بطله عمرو واكد الذى يؤدى شخصية محمد شيخ عجيزة أحد مسئولى جماعة إرهابية .

يبدو كلونى رجلًا منهمكًا فى عمله بإخلاص لكنه يشعرفجأة بالضياع قائلا: "طوال عمرى وأنا لا أعرف لمصلحة من أعمل. فيتم إرساله فى مهمة إلى بيروت فيسأل لماذا بيروت فترد رئيسته فى وكالة الاستخبارات " كل فرد يعيش فى المنطقة فيما بين باكستان والمغرب هو مشكلة كبيرة ". فى لبنان يخفى هويته عن قيادات حزب الله الذين يظهرهم الفيلم بشكل إيجابى حتى يقع كلونى تحت يد عميل استخبارات آخر يأخذ فى تعذيبه واقتلاع أظافره بالكماشة ... ويتضح أن كلونى أرسل لمراقبة الأمير ناصر. أما ديمون فيسهل توقيع عقد استغلال بترول بين شركة صينية وبين ملك الدولة الخليجية وتفقد شركة أمريكية كبيرة العقد فينتقم الأخ الأصغر للأمير ناصر من ديمون ويقتل طفله فى حادث غرق فى حمام سباحة ويتضح أن المخابرات الأمريكية وشركة البترول تسيطر على الأخ الأصغر وتعده بأن تسلمه رئاسة الدولة الخليجية بعد مرض والده الملك . يتحرك الأمير ناصر لإقناع كبار رجال الدولة بأنه الأحق بالحكم من أخيه الأصغر الأحمق بكل معانى الكلمة. ويعرض أمامهم خططه لعمل نهضة حقيقية فينبه ديمون قائلًا" هل تعرف أنكم تمتلكون أكبر ثروة للموارد الطبيعية فى

تاريخ البشرية ومع ذلك لا تستغلونها .وأمريكا سعيدة بإهداركم الأموال فى الفنادق والفسح بدون أن تبنوا بلادكم .ألم تعرف لماذا تحاربكم أمريكا منذ حرب السويس حتى الآن كل تلك الحروب ؟ وبالفعل تقتل المخابرات الأمريكية الأمير ناصر لتفسح الطريق أمام أخيه الأصغر الذى تسيطر عليه».

أما عمرو واكد فقد التقط مجموعة من الشباب الباكستانى الذين طردوا من العمل فى الخليج بمنتهى التعسف وعلمهم العربية والقرآن ... وألحقهم بالعمل فى مزرعة وأقنعهم بأن العالم الذى نعيش فيه ملىء بالفساد وأن العالم الحقيقى هو عالم ما بعد الموت. وظهرت رسالة المخرج جلية بأنه فى الوقت المشغولة فيه المخابرات الأمريكية بحروب البترول يجد المتطرفون الساحة خالية لأداء مهامهم .

أكثر ما فى الفيلم مفاجأة أن أغلب حواره بالعربية (بلهجاتها المختلفة) حتى جورج كلونى يتحدث بالعربية. وواكد بالعامية المصرية. والهدف المنشود - بالطبع - هو الوصول إلى أقصى درجات المصداقية فالفيلم بشكل عام لا يحاول توجيه مشاعرك أو أفكارك. هو يكتفى بعرض الحقيقة ويترك للمتفرج حرية الحكم خاصة أن أغلب الأحداث مستمدة من أحداث واقعية . ويبدو تعاطف المخرج مع أغلب الشخصيات العربية ورسمها بشكل محبب بما فى ذلك شخصية الإرهابى أما أشرار الفيلم فهم الأمريكيون فى السياسة وشركات البترول. وأغلبهم شخصيات جشعة ونهمة فى حب المال ومغرورة إلى أقصى حد. وهذا هو هدف سيريانا الحقيقى بإظهار أن التطرف ليس تطرفًا دينيًا فقط إنما هو تطرف رأسمالى وتطرف عرقى عندما يعتقد بشر أنهم أفضل لأنهم ينتمون إلى شعب ما بل ويحتقرون الشعوب الأخرى ويسمحون لأنفسهم باستعبادها.

ميونخ (٢٠٠٥): بين اليهود والصهيونية

إذا جاء شخص تحسبه عدوك وأسمع العالم وجهة نظرك بل وخالف جماعته وأهله المُصرين على احتقارك ونقل رأيك للجميع بدون تحريف هل تظل تعتبره عدوًا؟ أم تبدأ فى التفكير أنه قد يكون داعية سلام.

هذا ما شعرت به فى فيلم ميونخ للمخرج الأمريكى الكبير (اليهودى الديانة) ستيفن سبيلبرج.

يعرض الفيلم لحادثة حقيقية شهيرة وقعت عام ١٩٧٢عن طريق جماعة أيلول الأسود الفلسطينية عندما اختطفت مجموعة من الفلسطينين عددًا من الرياضيين الإسرائيليين فى دورة الألعاب الأولمبية فى ميونخ ثم قتلوهم بعد احتجازهم رهائن فور إطلاق الشرطة الألمانية النار عليهم. فكلفت رئيسة الوزراء الإسرائيلية - آنذاك - جولدا مائير أحد الرجال، وكان حارسًا شخصيًا لها بجمع فريق من خارج الموساد لاغتيال قادة فلسطينيين زعمت أنهم وراء عملية أيلول الأسود. وبطل الفيلم "أفنر" المكلف بالعملية رجل تربى فى أحد الكيبوتز (مستوطنات)، وأفهموه أن إسرائيل هى أمه (كما تقول له زوجته الحامل) لكن يبدو الرجل يكره أمه الحقيقية وفى حالة عدم رضا عن حياته بإسرائيل، لكنه يقبل المهمة ويسافر جنيف ليقابل مجموعته المكونة من أربعة رجال يكتشف أنهم من الهواة . والفيلم يعرض لتفاصيل عمليات قتل ستة فلسطينين من قائمة الأحد عشر فى أسلوب سينمائى بليغ يجعلك لاتشعر بأى ملل خلال الثلاث ساعات التى يستغرقها الفيلم ، وفى صياغة بصرية رائعة تنقل روح فترة السبعيينات وتذكرك بالأفلام القديمة السياسية العظيمة لتلك الفترة مثل حنا ك لكوستاجافراس. وليس المهم فى (ميونخ) أنه تسجيل لحلقة

جديدة من حلقات الصراع العربى الإسرائيلى لكنه أول فيلم عالمى كبير يعرض وجهة نظر الفلسطينيين ومنطقهم فى الحياة بشكل نزيه بدون أن يغفل طبعا فى إظهار وجهة نظر الصهاينة ممثلة فى رجال السلطة وضباط الموساد فى إسرائيل. وجاءت وجهة نظر المخرج سبيلبرج هى وجهة نظر ثالثة يؤكدها من خلال أكثر من حدث وهى وجهة نظراليهودى المتدين المعتدل بالنسبة إليه والذى يرى أن عنف الإسرائيليين ووحشيتهم ليس من اليهودية فى شىء. وأن اسرائيل على حالتها، ليست الوطن الذى يجب أن يعيش فيه اليهودى الحق. وقد عرض المخرج وجهات النظر الثلاثة بمنتهى الحيادية ليترك لكل متفرج حريته فى اختيار المنطق الذى يناسبه واكتفى المخرج بأعظم مهمة يستطيع أن يلتزم بها أى سينمائى وهى "البحث الموضوعى عن الحقيقة" وليس أدل من حوارات الفيلم لتؤكد أن وجهة نظر العرب ظهرت كما هى فى فيلم مخرجه يهودى ومن إنتاج شركة يمتلكها يهود. فيقول أحد الليبيين الذين اختطفوا طائرة بعد حادثة أيلول: "الإسلام لا يحرضنا على قتل الإسرائيليين. لكنهم يقتلوننا فى مصر والأردن وفلسطين؛ لذا قمنا بذلك لكى يسمع العالم صوتنا". ويضيف محمود الهمشرى أحد القيادات الفلسطينية الذى صفته مجموعة أفنر: "نحن أكبر شعب لاجئ فى العالم، منازلنا أخذت منا. لا طعام لنا ولا مستقبل". وتضيف زوجته: "عشرون عامًا ودم الفلسطينيين يراق بلا ثمن. وفى حوار لأفنر مع شاب فلسطينى من منظمة التحرير يقول الشاب: "يومًا ما ستعود فلسطين، يمكننا انتظار الدهر كله". يسأله أفنر: "هل أنت مقتنع أن كل هذه الأرواح تستحق أن تزهق من أجل قطعة أرض يابسة؟". فيرد الشاب: "أنت لا تعرف ما معنى إنسان ليس له مأوى. فالوطن هو كل شىء". أما أعضاء مجموعة الاغتيال فيبدءوا فى كراهية مايقولون به من قتل. ويفقدون الثقة فى أنفسهم وفى

مهمتهم ويقتل ثلاثة من أعضاء المجموعة الخمس لكن قبل موتهم يدور حوار بين أفنر وزميله صانع القنابل الذى يقول:" هذه الدماء التى نريقها سترتد علينا فى النهاية.لا أعتقد ان أيا من هذا فى قواميسنا، لا بد أن نصحح من أوضاعنا فهذه هى اليهودية. اذا خسرنا ذلك سنخسر كل شيء كما خسرت أنا روحى". وزميل اخر لأفنر يقول له: "هل تعتقد أن الفلسطينيين هم الذين بدءوا حمامات الدم؟". أما مشهد النهاية بالفيلم فهو يلخص رسالته. حيث قرر أفنر الاستقرار فى نيويورك بعد إنهاء مهمته. فيذهب له ضابط الموساد الذى كلفه بالعملية ويطلب منه العودة لإسرائيل فيقول له أفنر: "إن كل شخص فلسطينى يقتل يولد بدلا منه شخص أخطر مما نقتلهم؟ لا يمكن تحقيق السلام بعد كل هذا القتل". يرفض أفنر العودة ويرفض الضابط دعوة أفنرللعشاء فى منزله ويتباعد الرجلان فى مشهد النهاية كما تتباعد وجهتا نظرهما وخلفهما مدينة نيويورك ويبرز فى الصورة بينهما برج مركز التجارة العالمى كأنهما شاهدا قبرالسلام الذى تحطم بفعل المتشددين من الجانبين.

يقول الله فى أكثر من آية فى القرآن الكريم إنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة. وفى حكمة خلق الله للبشر من ملل وأعراق وأديان مختلفة لهو أكبر اختبار على مدى التسامح فى قلوب و أفعال البشر .

عام العرب فى جوائز الأوسكار

استطاعت جوائزالأوسكارالأمريكية خلال أكثر من ثلاثة أرباع قرن أن تجعل من نفسها أكثر أحداث العالم السينمائية شعبية. ورغم أنها فى النهاية جوائز محلية للأفلام الأمريكية. فإنها أصبحت حلم كل سينمائى. وتعد طريقة اختيار جوائز الأوسكار من أغرب طرق اختيار الجوائز فى العالم. حيث يرسل ستة آلاف شخص هم أعضاء أكاديمية

الفنون والعلوم السينمائية بترشيحاتهم لاختيار خمسة مرشحين لكل جائزة ثم بعد التصفية الأولى يرسلون ترشيحًا آخر للفائز النهائى الذى يحصل على أكبرنسبة من مجموع الأصوات. والأفلام التى يحق لها الاشتراك هى التى تم عرضها لمدة أسبوع واحد على الأقل فى إحدى دُور عر ض مدينة لوس أنجلوس الأمريكية .

ولأن الشركات والأفراد الحائزين على الأوسكار تتغير حياتهم بسبب أهمية تلك الجائزة باعتبارها الاعتراف الرسمى للتفوق السينمائى العالمى. ويبذل أغلب فنانى أمريكا كل الجهود للحصول عليها .

وإذا كانت جوائز الأوسكار لعام ٢٠٠٦ قد اختارت الفيلم الفلسطينى "الجنة الآن" ضمن الترشيحات النهائية، فالمعروف لأى مختص أن السبب الرئيسى هو دعم شركة وارنر المستقلة للفيلم، لأنها موزعته بالإضافة بالطبع لمستوى الفيلم التقنى الجديد رغم وجود بعض التحفظ العربى على رسالة الفيلم الذى يقدم اللحظات الأخيرة قبل إقدام اثنين من الاستشهاديين الفلسطينيين على أداء مهمة لهم. فالكثير من العرب لاموا المخرج هانى أبو أسعد أنه لم يأخذ موقفًا مع أو ضد الاستشهاديين ورأوا أن هذا ليس نابعًا من موقف فنى بالفيلم إنما من تفكير دبلوماسى يريد أن يرضى به الغرب من جهة ولا يجلب عليه غضب العرب من الاخرى. وأنا أ رى أن الفيلم سينمائى بامتياز وليس به هذه الحساسية العربية المتناهية.

والحق أن أبلغ ظواهر للجوائزالمرشحة فى ذلك العام هى وجود أكثر من فيلم عن العرب بشكل خاص وغلبة الأفلام السياسية بشكل عام. حيث رشح فيلم " ميونخ" لستيفن سبيلبرج لخمس جوائز رئيسية وكذلك فيلم "سيرينا "رشح لجائزتين منهما جائزة أحسن ممثل مساعد لجورج كلونى، وكلونى ذاته رشح لجائزتين أخريين لأحسن مخرج وسيناريو عن

الفيلم الذى أخرجه بعنوان "مساء الخير وحظ سعيد" الذى يحلل فترة سوداء فى التاريخ الأمريكى اشتهرت بفترة الكارثية حيث كان يتم اتهام أى فنان بأنه شيوعى ويتم سجنه فوراً. واعتبرت الفترة رمزاً للفاشية ونقص الحريات. والفيلم نفسه مرشح لست جوائز.

أما أهم فيلم كان مرشحاً فهو"التصادم" أو (كراش) ورشح لخمس جوائز منها أفضل فيلم ومخرج ويحكى الفيلم من خلال قصص درامية صلبة ومتداخلة أن المجتمع الأمريكى الآن ازدادت فيه العنصرية بشكل أصبح يستحيل للناس جميعا أن يعيشوا معًا سواء أكانوا بيضًا أم سودًا أم لاتينيين أم آسيويين أم مسلمين .

أما المفاجأة فكانت فى حصول فيلم " جبل بروكيباك" على أكبر عدد من الترشيحات وهى ثمانية ترشيحات منها أفضل فيلم ومخرج والفيلم عن علاقة جنسية بين اثنين من الشواذ وعدم قدرتهما على الافتراق. أما الأفلام الأخرى: فتيات الجيشا (٦ ترشيحات) وكينج كونج (٥ ترشيحات) وامش على الخط (٥ ترشيحات) والغرور والتحامل (٤ ترشيحات) وأغلبها رشح للجوائز التقنية وليس لإحدى الجوائز الرئيسية. ولكن الظاهرة الأكبر تظل أن أربعة من الخمسة أفلام المرشحة لأفضل فيلم لم تتعد ميزانيتها ١٤ مليون دولار (أى من الافلام المستقلة). وهو ما أفزع شركات السينما العملاقة فى هوليوود، وقد غير ذلك بعدها من تركيبة الإنتاج السينمائى هناك فى الأعوام التى تلتها.

وكانت النتيجة أن خرجت أفلام ميونخ والجنة الآن بدون جوائز وحصل كلونى على جائزة أفضل مساعد عن سيريانا. وحصل" التصادم" على أوسكار أفضل فيلم وجبل بروكيباك على ثلاث جوائز وحصل كينج كونج والجيشا بالفعل على جوائز تقنية.

الفصل الثانى

٢٠٠٦: عرب فى المخيلة ومسلمون فى قلب الواقع

" مهمة وطنية" (٢٠٠٦): العرب المتهمون الأبرياء

فى إطار سوق مهرجان كان السينمائى الدولى لعام ٢٠٠٦، عُرض الفيلم الأمريكى الطويل " مهمة وطنية" Civic Duty الذى تحدث عن البارانويا التى يعانى منها الغرب اتجاه العرب منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر.

ويبدو أن الطوفان الذى بدأ العام الذى سبقه بتقديم شخصيات عربية فى الأفلام العالمية يأبى أن يتوقف. وهاهى السينما الأمريكية (الفيلم إنتاج كندى - أمريكى وتوزيع أمريكى) تعود من جديد لتقدم قصة جديدة عن علاقة الأمريكيين بالعرب داخل الولايات المتحدة ذاتها، فالفيلم الذى يقوم ببطولته عدد من نجوم التليفزيون بأمريكا على رأسهم بيتر كراوز (بطل حلقات ستة أقدام لأسفل) وريتشارد شيف (بطل الجناح الغربى). ويحكى الفيلم عن شاب أمريكى فقد وظيفته كمحاسب، فأسلم ذهنه ووقته لمشاهدة نشرات الأخبار وتحديدًا فى السى إن إن ، وشيئًا فشيئًا بدأت الهواجس تغزوه ويعتقد أن جاره (الشاب الشرق أوسطى كما يدعوه) هو إرهابى بالضرورة،

ورغم أن الجار لم تصدر منه أية تصرفات تنم عن ذلك، فإن الشاب الأمريكى يبدأ فى مراقبة كل تصرفات جاره.فهو يفتش فى صندوق نفاياته؛ لأنه وجده يرمى " الزبالة" ليلًا، ثم يراقبه بالسيارة حتى وصوله لعمله، بل ويدخل منزله وهو غير موجود ليفتش فيه عن أى شىء يؤكد شكوكه. فيجد أنابيب لمحاليل كيميائية وأيضًا علب كبيرة مليئة بالمظاريف الفارغة، ثم يجد خطابات كثيرة مرسلة من جهة يحمل اللوجو الخاص بها علامة الهلال الإسلامى الشهيرة.كل هذه الدلائل تؤكد للشاب الأمريكى أنه فى مواجهة إرهابى عتيد، فيقرر إبلاغ المباحث الفيدرالية الأمريكية FBI تليفونيًا، ويلتقى أحد المحققين فيها ولكن يبدو المحقق غير مصدق لمبالغات الشاب، ومع ذلك يطمئنه أنهم سيضعون شكوكه موضع الاعتبار. يزداد توتر الشاب بسبب التحذيرات المستمرة من الإرهاب التى تبثها سى إن إن، والارتفاع المستمر للدرجات اللونية لتلك التحذيرات كمعدل لزيادة الخطر.وبالتالى تتلف أعصاب الشاب وتزداد شكوكه أكثر. وكان المخرج التسجيلى مايكل مور قد شرح فى فيلمه الشهير "فهرنهايت ٩ / ١١" أن الإدارة الأمريكية تستخدم لعبة التحذيرات اللونية تلك لتملأ الأمريكيين بالخوف ومن ثم تبرر لهم إجراءاتها المبالغ فيها وسياساتها الظالمة مثل: غزو أفغانستان والعراق.

تتوتر علاقة الشاب الأمريكى بزوجته نتيجة قلقه فيقرر حسم ذلك بأخذ الشاب الشرق أوسطى رهينة تحت تهديد المسدس ويقيده فى مقعد. ويبدأ هو بنفسه فى إرهابه لإرغامه على الاعتراف بإنه إرهابى. نكتشف ان الشاب العربى هو مصرى من لهجته، وتبدو عليه علامات أنه شاب أكثر من عادى، لكن الأمريكى يستمر فى طرح الأسئلة عليه بعنف ويرد الشاب عليها جميعًا: فالمحاليل الكيميائية موجودة؛ لأن الشاب يدرس الماجستير فى الكيمياء ويقوم بإجراء التجارب عليها. وأن

تلك المؤسسة التى تحمل علامة الهلال ما هى إلا مؤسسة خيرية تمول دراسته، تأتى زوجة الشاب الأمريكية فى هذه الأثناء فيخرج هو من بيت المصرى لمقابلتها فتشك فى تصرفاته وتكتشف المسدس الذى يحمله فتحذره، لكنه يطلب منها أن ترحل ويحاول هو استجواب الشاب المصرى. يصرخ المصرى قائلا إنه ليس له نشاطات إرهابية فيضربه الأمريكى بجزء من المسدس فينفجر المصرى قائلا: "حتى لو كنت كما تعتقد ألا تتصور أن ما تفعلونه بنا كعرب ومسلمين فى أفغانستان والعراق وفلسطين، ألا يخلق هذا إرهابيين". فيرد الأمريكى: "أنا لست مسئولا"، فيعاوده المصرى: "بل أنت مسئول، انت الذى تختار حكومتك ورئيسك، وأنت مسئول عن سياستهم ككل الأمريكيين الذين هم مسئولون أيضا". فى هذا التوقيت يجعلك المخرج تشك هل هذا الشاب المصرى إرهابى أم لا، فأسلوب الإخراج شبيه بأسلوب هيتشكوك فى فيلمه الشهير (النافذة). فقد نجح المخرج جيف ريفرز فى صنع حالة من اللهاث وراء الأفكار والمشاعر، انتقلت للمتفرج بمنتهى السلاسة وجعلته يصبح جزءًا من الأحداث. فاللقطات الكبيرة المتواترة والإكثار من القطع فى المونتاج و العامة الغالية للصورة وزرقتها أحيانًا، جعلوا المتفرج فى قلب حالة الشك التى يعيشها الشاب الأمريكى. وصدمة الشاب العربى وصمته عن الرد بسبب ذلك، ثم ردوده الدفاعية تارة، والمنفعلة تارة أخرى، جعلتنا نخاف عليه أحيانًا باعتباره بريئًا ونخاف منه أحيانًا أخرى كم لو كان جانيًا. ذلك التداخل فى المشاعر الصعبة كان سببه سيناريو رائع لأندروجوينر الذى نسج خياله الاحتباس فى الحدث بمنتهى القوة وأدار حالة التشويق إلى أقصاها حتى تصل الشرطة وتحاصر المنزل وتبدأ فى محاولة إقناع الشاب الأمريكى بترك جاره، لكنه يصر على موقفه بأن المصرى إرهابى وأن معلوماته أكثر دقة منهم. وكلما تحاول الشرطة الإيهام بالدخول، يهم الأمريكى بالتهديد

بقتل المصرى، حتى يتم استدعاء مندوب مكتب التحقيقات الفيدرالية الف بى إى الذى كان الشاب قد أبلغه بشكوكه. ويأتى الرجل محاولا إثناء الشاب وإقناعه بالتراجع عما يفعل، لكنه تبدو نظرية المؤامرة قد سيطرت على رأس الأمريكى تمامًا، حتى زوجته عندما تثنيه عما يفعل، لا يخرج ذلك من رأسه كل البارانويا التى تملكت منه، وفى لحظة ينفك السحر ويقبل الأمريكى بدخول مندوب وكالة التحقيقات، ووراءه الشرطة تشل حركة الشاب لكنه يطلق طلقة باتجاه الشاب المصرى، لكنها تضل طريقها إلى زوجته الأمريكية فترديها قتيلة. ينتهى الفيلم بالشاب مودعًا بإحدى المصحات العقلية لكن المخرج يترك الباب مفتوحًا بأن مخاوفه اتجاه المصرى قد تكون حقيقية.

رسالة الفيلم فى مغزاها شديدة التعاطف مع العرب باستثناء الجزء الأخير الذى قد يكون قد صنع كذلك " لمغازلة " الجمهور الأمريكى.أما عن شخصية الشاب المصرى فقد ظهرت صاحبة صفات إنسانية حميدة وبمظهر محبب، وكانت المفاجأة أن الذى قام بدور الشاب المصرى هو الممثل المصرى خالد أبو النجا، والمفاجأة الأخرى التى كانت سارة أن خالد أدى أداءً رائعًا لم يظهر به فى أى فيلم مصرى مثله من قبل، حتى لو كان أداؤه الاستثنائى مع المخرج الكبير داوود عبد السيد فى " مواطن ومخبر وحرامى". فهو فى بداية الفيلم الشاب الغامض الذى يخبئ انفعالاته، وهو - تحديدًا - ما تطلبته الشخصية فى هذه المرحلة، ثم هو الشاب المغلوب على أمره بكل الاستكانة والضعف، الذى - حتمته - أخذه كرهينة، ثم الشاب المتفجر الشجاع الذى لا يخاف الموت ويعطى الأمريكى من الحجة ما تجعله يرتبك. حالات شديدة الصعوبة أداها بسلاسة وبفهم أمام ممثل أمريكى قوى وشديد التركيز فى دوره، ضف إلى ذلك إنجليزيته المتقنة بلهجة أمريكية موفقة إلى

حد كبير. والحق أن ذلك فى حد ذاته لعامل فخر أن نجد ممثلينا يبلون بلاءً حسنًا واحدًا تلو الآخر فى الأفلام الأمريكية الكبيرة و المتوسطة، وما يسعد أكثر أن من اشتركوا بالأفلام، النبوى وأبو النجا وعمرو واكد هم من المجتهدين المثقفين، والذين لم تلوثهم ماكينة النجومية الحالية فى مصر، ولهذا يبدو أن صفاتهم التى لم تجعلهم نجوم إيرادات كبيرة فى مصرهى ذاتها التى ستجعلهم ينضمون لركب ممثلى السينما العالمية الصاعدين.

بابل (٢٠٠٦): أين تختبئ سعادة الإنسان؟

"ما الذى يجعل أغلب البشر قلقين فى عالم اليوم وخاصة فى الغرب؟ كيف يتحكم القدر فينا مهما اتخذنا من احتياطات؟ لماذا تكون مشكلة الإنسان الدائمة هى فى التواصل مع الآخرين حتى لو كانوا أقرب الناس إليه؟ هل عندما يرتفع الفكر السينمائى يستطيع الوصول لنقاء الفلسفة ؟ وهل هناك أفلام تستطيع أن تغير حياتك بعد مشاهدتك لها ؟ كلها أسئلة كبيرة طرحها فيلم " بابل" إخراج المكسيكى اليخاندرو جونزاليس اريناتو الذى كان درة أفلام عام ٢٠٠٦.

يقوم فيلم بابل على ثلاث قصص متداخلة ومتقاطعة تحدث فى أربع قارات فى العالم. القصة الأولى تدور فى المغرب حيث يشترى راعى غنم فى أحد الجبال شمال البلاد بندقية من صياد جار له. يتلقف ابنا الراعى المراهقان هذا السلاح ليتعلما عليه التنشين. يجريان أكثر من مرة ثم يتراهنان على وصول الرصاصة فى اتجاه أتوبيس سياحى يمر بعيدًا عن أسفل الجبل. يصيب أحدهما الأتوبيس بالفعل. نكتشف أن الطلقة جرحت سائحة أمريكية (كيت بلانشيت) وأصابت زوجها (براد بيت) بالذعر لكنه يحاول إنقاذها بأى طريقة رغم أنهم فى وسط الصحراء. ننتقل إلى القصة الثانية فى الولايات المتحدة

الأمريكية؛ حيث طفلا تلك العائلة الأمريكية متروكان فى رعاية سيدة مكسيكية فى منتصف العمر، وهى فى أزمة هى الأخرى لأن حفل زواج ابنها هذا المساء ، ولا تعرف أحدًا تترك لديه الطفلين. فتقرر أخذهما معها للحفل باعتبار أنه يقام فى مدينة تيوانا على الحدود بين المكسيك وأمريكا وعلى مسافة ساعتين بالسيارة من منزل العائلة الأمريكية فى جنوب كاليفورنيا. تصل للحفل بالفعل وعلى الجانب الآخر يذهب المرشد السياحى المغربى لقريته القريبة فى الجبال لمحاولة إنقاذ الزوجة الأمريكية حتى تحضر سيارة إسعاف، يبلغ براد بيت السلطات الأمريكية فتبدأ وسائل الإعلام الادعاء بأنه الحادث نتيجة عمل إرهابى، يقوم الطبيب الشعبى بالقرية بوقف نزيف السيدة، فيما تبحث السلطات المغربية عن الفاعل من فوارغ الرصاص يكتشفون أنه لبندقية صيد أهداها رجل يابانى للصياد المغربى، وننتقل لطوكيو حيث نرى هذا الرجل الذى يعانى من الإحباط بسبب انتحار زوجته منذ أشهر قليلة وأيضا بسبب حالة القلق والعصبية التى تعانى منها ابنته المراهقة بسبب أنها صماء وبكماء. إنها تجد صعوبات فى التواصل مع الآخرين وتشعر بأنها غير مرغوبة كأنثى، فتبدأ فى إظهار مفاتنها للصبية من سنها، ثم تفاجأ بالشرطة اليابانية تبحث عن والدها فى المكسيك يبدأ حفل الزواج ويلهو الطفلان الأمريكيان مع أقرانهما، وأمهما فى المغرب بين الحياة والموت، والشرطة المغربية تعثر على الراعى وولديه وتطاردهما وتقتل من بينهما الصبى الذى لم يطلق الرصاصة، فيما تعرض الفتاة اليابانية جسدها على الضابط الذى يريد التحقيق مع والدها، ثم تعود السيدة المكسيكية لعبور الحدود نحو أمريكا فتشك فيها السلطات فتهرب بسيارة ابن أخيها الذى يوصلها، وتطارده الشرطة، فينزل السيدة والطفلان فى وسط الصحراء، ويتعرضون لخطر الموت حتى يتم العثور عليهم، وتقوم الشرطة الأمريكية بترحيل

السيدة إلى المكسيك رغم أنها تعيش فى أمريكا منذ ١٦ عامًا، ولكن بلا أوراق، تحضر طائرة هليوكوبتر للقرية المغربية لنقل براديت وزوجته المصابة فيما يستطيع الضابط اليابانى تهدئة الفتاة المراهقة بدون أن يستغل الفرصة ويعبث بها. هل هناك حبكة أعظم من ذلك؟ قصص تبدو عادية لكن تحليلها بعمق يكشف لنا أنها تتحدث عن كل المشكلات التى يعانى منها إنسان اليوم:فالخوف على الأبناء (سواء أكانوا أطفالاً أم مراهقين) يحرك القصص الثلاث والقضايا الأخرى هى الفتور بين الأزواج (كما فى قصة الزوجين الأمريكيين) والكبت الجنسى الذى تعانى منه الفتاة اليابانية، والخوف من الآخر المختلف عنك كشعور براديت بعد إصابة زوجته حتى يجد أن الغرباء الذين يخشاهم هم الذين انقذوا حياة زوجته. ورغم أن القصة اليابانية تبدو خارج السياق تمامًا، فإن المخرج وضعها ليحدث توازنًا طقسيًا مع بيئة صحراوية مغربية وبيئة شعبية مكسيكية. فهو يعرض الحياة الباردة المحاطة بالتكنولوجيا فى طوكيو حيث كل شىء براق لكنه بارد، الأضواء لامعة لكن البشر متباعدون. منتهى الفهم لكيفية توجيه الشحنة النفسية. أخذ بعض النقاد على " بابل" أنه يحفل بالمصادفات و بالصور النمطية عن الشعوب، لكن يبدو لى أن المخرج أليخاندرو جونزاليس إيناريتو قد فعل ذلك عن قصد. إنه يظهر ما وراء الكلاشيه: فإذا كنت تعتقد أن المغرب جبال جميلة والمكسيك حفلات صاخبة وطوكيو مدينة تكنولوجية، تعال إذن لترى ما وراء ذلك، كيف يعيش البشر داخل هذه الصورة النمطية.أما عن المصادفات فهى أحد مفاتيح الفيلم.يريد المخرج أن يفهم الإنسان أن ما يحركه داخل العالم هو مصيره وقدره بشكل أساسى وليس الخطة التى يضعها ليمشى عليها، وهذه هى فلسفة الفيلم وأجمل ما فيه. فالمجتمع المعاصر وعلى الأخص فى الغرب، انغمس فى التفكير المادى الذى يقول إن ١+١=٢، ونسى أن يد

القدر فوق كل شىء. هل الفيلم به نزعة إيمانية أو روحانية إذن ؟ نعم بابل" عنوان الفيلم هو كما يقول مخرجه مستوحى من الإنجيل حيث كانت بابل برجًا صنعه البشر للوصول إلى الجنة، بأن صعدوا فوق بعضهم البعض . غضب الله منهم فخاطب كل منهم بلغة مختلفة فلم يستطيعوا التفاهم، فسقط البرج ومن يومها وحُكم على الإنسان بأن يكون لديه دائما مشكلة تواصل مع الآخر، وحل تلك المشكلة فى تقوية الرابط الروحى الذى يربط ما بين كل البشر، وتجاوز الحواجز اللغوية والثقافية التى تمنعنا من التواصل مع الآخرين ، فبراديبت كان خائفًا من المغاربة لكن أهل القرية عالجوا زوجته، والبيبى سيتر المكسيكية تخاف على الطفلين الأمريكيين مثل أولادها لأنها ربتهم منذ مولدهم والضابط أعطى لليابانية حنانًا بدلا من استغلالها جنسيًا: إن مشكلة تلك الفتاة أبلغ تعبير عن مغزى الفيلم. فكلنا صم وبكم بدرجات، لا يفهمنا الآخرون بدرجات، نحتاج للغة تواصل غير اللغة العادية، لغة الإنسانية، لغة روحية. ولهذا تكمن براعة الفيلم فى لغته السينمائية، فمثل لغة الكتابة كل الأشياء التقليدية تصبح غير عادية لو استخدمناها فى التعبير عن معانى متفردة. وأدوات اللغة عند إيناريتو ليست فقط فى حرفيات السينما كحركة الكاميرا و حسن استخدام العدسات فقط، لكن تقع أساسا فى أمرين: أولهما قدرته على إدارة الشحنة العاطفية للمتفرج وثانيهما التحكم فى إيقاع فيلم صعب كهذا به الكثير من القصص والكثير من المشاعر، إن تدفق الأحداث هو الذى يجعلك تفكر جليًا، لماذا يعانى هؤلاء البشر من التعاسة ويجعلك تكتشف بالفعل أين تختبئ السعادة. الفيلم يقول - ببساطة - إنها فى حب الناس أيًا كانت أجناسهم وسواء أكنت تفهم لغتهم أم لا و أيا كان ما يفعلونه لك. فقط حب الآخرين وعاملهم جيداً، فالعمر قصير وقد ينتهى فى لحظة كما يقول الفيلم، فجميع قصصه على الحافة ما بين

الموت والحياة. فهل العمر ينتهى فى لحظة يستحق أن تكره فيه أو تخاف من أحد، هل عرفت إذًا لماذا يعتبر بابل فيلم حياتك بعده ليس كما كنت قبل مشاهدته، وهل عرفت إلى أى مدى تستطيع السينما أن ترتقى بنا كبشر وهذا الفيلم الأيقونى يقدم صورة العربى هو الآخر بكل سوء الفهم الغربى عنه. بكل نمطيته وفلكلوريته. فيجعلنا نتجاوز كباحثين عن صورة العربى إلى المعنى الأعمق فى الفيلم وهو صورة البشر عند بعضهم البعض ضرورة كسر وتجاوز كل الصور لنصل إلى الهدف الأسمى لنا كبشر: التواصل.

الصحفى والجهادى (٢٠٠٦): مَنْ ينجح فى تغيير العالم للأفضل ؟

" الصحفى والجهادى" هو فيلم تسجيلى عُرض فى مهرجان تريبيكا الأمريكى وعلى قناة إتش بى أوالأمريكية ويتابع قصة مقتل ريتشارد بيرل صحفى جريدة وول ستريت الشهير بالتوازى مع قصة عمر شيخ الأصولى الإسلامى الذى اختطف بيرل.

الاثنان جاءا من عائلات مستقرة ومتيسرة، والاثنان ولدا فى العالم الغربى، عمر شيخ فى لندن وريتشارد بيرل بأمريكا، والاثنان كانا يريدان تغيير العالم، أحدهما استخدم القلم والآخر فضل القنبلة، هكذا يضعك الفيلم فى هذا المأزق، وكأنه يحاول إقناعك بأن المسلمين عندما يحاولون إصلاح العالم يقتلون، أما أبناء الغرب فيبحثون ويكتبون. ورغم أن بيرل وعمر شيخ لا يمثلان كل عالمهما ولا كل أفراده، لكن الفيلم التسجيلى صنع نظرية المقارنة ليقودك إلى هذا الطرح. والمخرجان الباكستانى أحمد جمال والهندى رامش شارما قاما بصنع حالة غوص فى أفكار بيرل ومبادئه وأفكاره بدون أن يفسحا نفس المساحة ونفس العمق لشخصية عمر شيخ. فمع بيرل أنت تكاد تراه

حيًا أمامك، زوجته وأهله وشقيقاته وزملاؤه يتحدثون عنه، ويؤكدون كم كان إنسانًا بكل معنى الكلمة وكم كان مهتمًا بصنع جسر للفهم بين العالم الغربى والمسلمين، أما عمر شيخ فيظهر بعض زملائه وأساتذته فى الدراسة بلندن ليقولا عنه إنه كان ذكيًا على الرغم من حدته. ثم يعود الفيلم لبيرل ويحكى كيف كان مهمومًا بالكشف عن الشبكات المالية التى تمول الإرهاب بعد أحداث ١١ سبتمبر، وبمرور الوقت أصبح مديرًا لمكتب وول ستريت فى جنوب شرق آسيا، وفى الوقت نفسه كان عمر شيخ متورطًا فى عدد من محاولات الاختطاف، ودخل السجن عدة مرات ليخرج منه عام ١٩٩٩.

بمساعدة الكاتب السياسى الفرنسى برنار هنرى ليفى وجد المخرجان علاقة بين عمر شيخ والمخابرات الباكستانية وهو نفس ما اكتشفه بيرل الذى وصل لخيوط تربط بين أموال الإرهابيين وكوادر عليا فى الحكومة الباكستانية. ثم تعرف بيرل على عمر شيخ الذى أوهمه بأنه سيوصله لأناس يعرفون الحقيقة لكنه سلمه للمتطرفين الذين سرعان ما قطعوا رأسه، ومضت خمسة أسابيع قبل أن تعرف عائلته الخبر لكنها في كل الأحوال عرفت قبل مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية.

ليس هذا مجرد فيلم عن صحفى غربى يدفع حياته ثمنًا للبحث عن الحقيقة لكن خطورته أنه يقودك للمقارنة، بأن ريتشارد بيرل يمثل العالم الغربى وعمر شيخ يمثل العالم الإسلامى، وهى نفس الفكرة التى تتردد فى عدد كثير من وسائل الإعلام الأمريكية الشعبية وهى أن أبرز ملامح المسلمين هو التطرف وينسون مئات الظواهر الاجتماعية والثقافية الإيجابية التى تعبر عن أمة المليار ومائتى مليون مسلم.

الفصل الثالث

٢٠٠٧: السينما التجارية الأمريكية تدخل على الخط: استثمار أو تطهير؟

أفلام هوليوودية عن السعودية والعراق وأفغانستان

فى الذكرى السادسة لأحداث الحادى عشر من سبتمبر وبعد أربع سنوات كاملة للغزو الأمريكى للعراق، دخلت هوليوود بكامل قوتها حلبة الحرب وأنتجت عنها خمسة أفلام لكبار النجوم والمخرجين بالإضافة إلى أربعة أفلام أخرى عَن قضايا الشرق الأوسط والعالم الإسلامى، كلها عرضت تباعًا فى العام نفسه. وأهمها على الإطلاق فيلم" تمت إعادة صياغته " للمخرج الكبير بريان دى بالما (صاحب أفلام الوجه ذو الندبة والمهمة المستحيلة) وحصل عن (تمت إعادة صياغته) على جائزة الإخراج فى مهرجان فينيسيا ٢٠٠٧. وصنف الفيلم كأهم أفلامه قاطبة.وهو يحكى فيه قصة حقيقية عن خمسة جنود أمريكيين اغتصبوا طفلة عراقية فى الثالث عشر من عمرها ثم حرقوها بعد اغتصابها وقتلوا أسرتها أمام عينيها، وقد حكم على أربعة منهم بأحكام بين خمسة و ١١٠ عامًا، وأصبحت الطفلة التى تدعى "عبير حمزة الجنابى" رمزًا لوحشية الجنود الأمريكيين بالعراق، واستخدم دى بالما مزيجًا من اللقطات التسجيلية التى صورها الجنود لأنفسهم

ووضعوها على الإنترنت بمدوناتهم، مع إعادة تجسيد الحدث روائيًا وسبب ذلك صدمة هائلة لكل من شاهد الفيلم الذى أنهاه دى بالما بعدة صور فوتوغرافية لقتلى عراقيين.

وأنتج فى العام ذاته فيلم" معركة الحديثة " للمخرج فيك برومفيلد ويحكى عن تحقيق تقوده السلطات الأمريكية مع ٤ من جنود المارينز الأمريكين قاموا بعمل مذبحة مدينة " الحديثة " العراقية قتلوا فيها ٢٤ شخصًا أغلبهم من النساء والأطفال انتقامًا من مقتل أحد زملائهم المارينز الذى انفجرت فيه عبوة ناسفة بالطريق، ولم يكن من قتلوا لهم أى علاقة بزرع القنبلة؛ حيث يظهر الفيلم أيضا الفاعلين الحقيقيين. وقد جاءت أغلب التعليقات ممن شاهد الفيلم لصالح تميزه لأنه عرض كل وجهات النظر بدون التحيز لإحداها.

الفيلم الثالث هو " فى وادى إيلاه " للمخرج بول هاجيز الذى حصل على جائزتى أوسكار عن فيلمه الرائع " كراش " وفيلمه هنا يحكى عن اختفاء جندى أمريكى بعد عودته من العراق ورحلة البحث عنه، والفيلم بطولة تومى لى جونز وسوزان ساراندون وعنوان الفيلم يحمل الكثير من الجدل، فإيلاه هو اسم الله باللغة الأرامية ووادى إيلاه مذكور فى التوراة باعتباره الوادى الذى عسكر عنده داود ملكهم أثناء حربه مع جالوت الفلسطينى، وفى نهاية الوادى توجد شجرة فى غاية الضخامة يرمز إليها بنهاية العالم!

رابع الأفلام هو " الأسود للحملان " الذى أخرجه وقام ببطولته النجم روبرت ريدفورد مع ميريل ستريب وتوم كروز الذى أنتج الفيلم من خلال شركته يونايتد ارتيست العملاقة، والتابعة لمترو جولدن ماير والتى ترأسها كروز مؤخرًا، وهى الشركة التى أسسها - منذ حوالى ٧٥ عامًا - شارلى شابلن ومارى بيكفورد وممثلون آخرون. والفيلم يحكى

عن اثنين من الطلبة يذهبون للحرب فى أفغانستان وعلى خلفية ذهابهم وعودتهم تدور مناقشات طويلة عن موقف أمريكا من الشرق الأوسط بين كروز الذى يلعب بدور سيناتور بالكونجرس وردفورد أستاذ الجامعة وستريب الصحفية.

أما الفيلم الذى حقق إيرادات ضخمة جدًا وهو عن نفس الأجواء العربية فهو فيلم " المملكة " الذى احتل المركز الثانى كأعلى إيرادات للأفلام الأمريكية خلال أسابيع كثيرة عام ٢٠٠٧. الفيلم يقوم ببطولته " جامى فوكس " وأخرجه بيتربيرج وهو عن مجموعة محققين من مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكى يذهبون للسعودية للتحقيق فى انفجار مجمع سكنى بالرياض كان يقيم به أمريكيون، ويجدون صعوبة فى التحقيق بمفردهم فيقبلون الاستعانة بقادة من القوات السعودية ليصلوا بوساطتهم لمرتكبى الانفجارات.

الأفلام الأخرى عن العراق أقل فى تأثيرها لكنها بطولة نجوم محبوبين بأمريكا مثل فيلم " ضاع الشرف " بطولة جون سوزاك عن أب يصطحب أطفاله فى رحلة بالسيارة فى أنحاء أمريكا بعد وفاة أمهم فى العراق.

وفيلم " أوقفوا الخسارة" إخراج كمبرلى بيرس عن جندى يعود لمدينته تكساس بعد عودته من الحرب فى العراق، ويرفض الرجوع مرة أخرى لهناك رغم تهديدات السلطات له بضرورة العودة.

أما ريتشارد جير فلعب دور البطولة فى فيلم " حفلة صيد " عن مجموعة من الصحفيين على رأسهم جير يذهبون لمهمة بصربيا رفض الذهاب لها عملاء المخابرات الأمريكية وهى البحث عن مجرم صربى هارب قتل العديد من العائلات البوسنية المسلمة فى مونتنيجرو (جمهورية الجبل الأسود الملاصقة للبوسنة)

والفيلم الأخير هو " التسليم" بطولة ريزروسوربون وجافين هود والأمريكى من أصل مصرى عمر متولى . والفيلم عن عالم أمريكى من أصل مصرى يدعى أنور الإبراهيمى تشتبه السلطات الأمريكية فى كونه إرهابيًا وتقبض عليه وترسل به إلى جهاز أمنى ببلد فى شمال إفريقيا " لم يحدده الفيلم" حيث يتم استخدام كل وسائل التعذيب معه هناك لإجباره على الاعتراف بأنه إرهابى. ويتضح من التفاصيل أن التعذيب يتم بجهاز أمن الدولة بمصر.

وقد ووجهت تلك الأفلام الهوليوودية الجديدة بموجة اعتراضات من الجانب اليمينى المتحفظ بالمؤسسات الأمريكية، فيما يرد المناصرون لتلك الأفلام بأن عدد الأفلام التى أنتجت عن حرب أمريكا على فيتنام تجاوز أربعمائة فيلم.

الفصل الرابع

٢٠١٠: السى إى إيه تقول كلمتها

لعبة عادلة: (٢٠١٠) لعبة من الخائن الحقيقى؟

(لعبة عادلة) للأمريكى دوج ليمان المأخوذ عن كتابى (سياسات الحقيقة) لجو ويلسون و (لعبة عادلة) لزوجته فاليرى بلام ويلسون هو سفير أمريكى سابق بالجابون تطلب منه المخابرات الأمريكية الذهاب إلى النيجر للتأكد من صفقة حصول على يورانيوم مخصب ينوى صدام إتمامها مع البلد الإفريقى لصنع سلاح نووى فيكتشف عدم وجود صفقة من هذا النوع . أما زوجته فتعمل عميلة سرية للمخابرات الأمريكية مسئولة عن التأكد من عدم وجود أسلحة دمار شامل بالعراق.يفضح الفيلم إدارة الرئيس الأمريكى بوش بأنهم كذبوا على العالم بوجود تلك الأسلحة رغم أن تقاريرهم الرسمية تؤكد على عدم وجودها بل ووصل الأمر بإفشاء هوية بليم وهو الشىء المجرم بالقانون الأمريكى الإفصاح العلنى عن اسم عميل مخابرات والسبب كان نشر زوجها ويلسون مقال بنيويورك تايمز يقول فيه بإنه لم يجد شيئًا بالنيجر. الشخصية العربية الأساسية بالفيلم هى شخصية (حمد)

العالم النووى العراقى والتى يلعبها خالد النبوى وكيف يتم إرسال أخته المقيمة بأمريكا له ببغداد لتقنعه بتقديم معلومات كاملة عن علماء البرنامج النووى العراقى وتفاصيله. والمقابل هو تهريبهم خارج العراق وقت الغزو الأمريكى لأن الموساد يبحث عنهم لقتلهم.قدم النبوى مشاعر الغضب من الأمريكان وتأكيده لهم أنهم دمروا بنفسهم البرنامج النووى العراقى إبان تحرير الكويت من العراق.ثم اضطراره لقبول عرضهم لإنقاذ أسرته من الدمار الذى يحل بالعراق ثم إقناعه للعلماء العراقيين بكل أمانة بالوضع ثم دفاعه عن أطفاله وسط التفجيرات وانتظاره قدوم الأمريكان لإخراجه من العراق لكنهم لا يأتون بعد فضح بليم. المشاعر المكتومة والحيرة الوجودية والظرف التراجيدى القاسى عبر عنهم النبوى بقوة بأداء حاذق ملىء المرارة المكتومة وبالرغبة فى التمسك بالحياة حتى أنك لا تعرف أن تحكم على هذا العالم هل هو عميل للأمريكان أم هو ضحية ظروفه.

أداء آخر رائع لممثل عربى فى فيلم عالمى يثبت أن موهبة كبيرة مثل موهبة خالد النبوى لن تجعل عمر الشريف استثناءًا فى تاريخ الفن العربى.

الباب الثانى

عرب ومسلمون فى السينما العالمية غير الأمريكية من أوروبا إلى إسرائيل

الفصل الأول

٢٠٠٤: قبل الطوفان

صيف فى الوادى الذهبى: ٢٠٠٤: مسلمو البوسنة فى عالم ما بعد الحرب

منذ زمن طويل يزيد على العشرين عامًا، أصبح المخرج البوسنى-الصربى الكبير " أمير كوستاريكا" هو المُعبِر الوحيد عن الحياة فى يوغسلافيا سابقًا، والتى أصبحت حاليًا دولتين هما البوسنة والهرسك و صربيا والجبل الأسود وامتد الأمر إلى اعتباره - من البعض - المُعبّر الوحيد عن بلاد البلقان بأكملها على اختلاف ثقافاتها ، لكن الامر اختلف منذ عام ٢٠٠٠ وتحديدًا مع بدء ظهور عدد كبير من مخرجى البوسنة وصربيا الموهوبين الذين طرحوا رؤى مختلفة عن الواقع الثرى بهذين البلدين العظيمين ومنهم ادامير كينوفيتش من البوسنة وجوران باسكال جيفتش من صربيا .

ومن أهم إنجازات مهرجان تسالونيكى السينمائى الدولى باليونان هو إنشاؤه قسمًا بعنوان " رؤى من البلقان " احتفل عام ٢٠٠٤ بمرور عشر سنوات على إنطلاقه ويعنى كل عام بتقديم أهم الأفلام التى يتم إنتاجها خلال العام بالبوسنة وصربيا وأيضا بتركيا ورومانيا وألبانيا

وبلغاريا وسلوفينيا وكرواتيا، بل إن مهرجان" تسالونيكى "أسس منذ فترة طويلة " صندوق دعم البلقان" الذى يمنح كل عام ١٠ آلاف يورو لأربعة مشروعات أفلام لمساعدة مخرجيها فى كتابة السيناريو وتطويرالمشروع وقد أتاحت أفلام ذلك العام من قسم "رؤى من البلقان" تأمل أحوال تلك البلاد التى عاشت نيران الحروب القوية فيما بينها وتنتقل الآن إلى حياة جديدة بكل معنى الكلمة فأفلام "الفرعون" (رومانيا) و"ليلة بدون قمر" (البانيا) تتحدث عن التحول فى سنوات ما بعد سقوط الشيوعية. وفى " انتظار الغيوم" تركيا " يحكى عن مشكلات الأقليات اليونانية فى تركيا .

لكن يظل الفليم الأهم والأقوى فى هذا القسم هو الفيلم البوسنى "صيف فى الوادى الذهبى" وهو الفيلم الأول لمخرجه سرجان فلويتيش يحكى الفيلم فى أسلوب ملىء بالسخرية والبساطة معًا حياة الشاب "فكرت" البالغ من العمر ستة عشر عامًا، والذى يعيش حياة بلا أمل مليئة بالتسكع والمقالب وتدخين مخدر أشبه بالكولاً التى يدخنها أطفال الشوارع فى مصرحتى يفاجأ هذا المراهق بموت والده. وهناك نرى جنازة إسلامية بوسنية يقرأ فيها الإمام "بلكنة رائعة" الفاتحة، ثم نرى إجراءات الدفن ، ثم تنشق الأرض عن رجل يدعى أن المتوفى مدين له بمبلغ ٥٠ ألف مارك وبالتالى لا يجوزالترحم عليه حسب العرف هناك قبل أن يدفع أهله الدين ويسمى ذلك عندهم " حلال السنة ". يحاول "فكرت " الحصول على المبلغ بسرقة سوبر ماركت لكنه يفشل ويفرج عنه ضابط والد حبيبته المراهقة لكن يبدو أن لهذا الضابط غرضًا فى نفسه. فهذا الضابط أحواله المادية سيئة مثل أغلب سكان سراييفو فأحيانًا ما يوقف تجارالمخدرات ليطلب منهم رشوة ثم يتركهم بعد ذلك.

و فى هذه المرة يطلب من "فكرت" شيئًا آخر مقابل الإفراج عنه وهو مساعدته فى خطف فتاة من أسرة غنية لكى يستطيع طلب فدية قدرها نصف مليون مارك من أهلها، فى البداية يوافق "فكرت" وأحد أصدقائه ولكن تتعقد الأمور تارة بوقوعه فى حب الفتاة المخطوفة وتارة بتخطيط ضابط البوليس لقتل "فكرت" وصديقه باعتبارهما الجناة الوحيدين لكى يبرئ الضابط نفسه من الجريمة ، لكن بعد استرداد الفتاة والحصول على الفدية تنتهى الأمور بقتل الضابط لنفسه وعودة الفتاة لأهلها .. العظيم فى هذا الفيلم ليست القصة بقدر ما هى طريقة التناول الساخرة والتى تكشف بكل خفة روح وصدق عن الواقع المتناقض فى سراييفو فيما بعد الحرب. حيث فوضى الأخلاق والفقر و الرشوة وحيث كل شىء مباح وموجود حتى أن يشغل الأب ابنته المراهقة فى الدعارة. فرغم ظاهر المجتمع الإسلامى، تجد الأخلاق فى انهيار ولم يقدم لنا المخرج ذلك فى صورة مواعظ أخلاقية مباشرة لكن بأسلوب سينمائى رفيع أشبه بروح أفلام السينما الصامتة وأفلام التشيكى بيرى منزل خاصة عندما تضع الفتاة الغنية لـ " فكرت " مبلغ الدين فى ملابسه دون أن يعرف ثم يشعر الشاب بالسعادة لأنه سينقذ رحمة والده ويذهب إلى الرجل الذى ادعى أن الأب مدين له فيجده فى أحد نوادى القمار، يأخذ الرجل منه المبلغ ويقامر به ويخسره بضربة واحدة ثم يعترف لـ" فكرت" أن والده لم يكن مدينًا له بشىء وأنه لا يعرف لماذا فعل ذلك. وهكذا تتجلى رؤية الفيلم التى ترى الحياة لعبة عبث كبيرة.

بدو سيناء وعرب هولندا وصورة العربى السيئ

من بين كل أفلام مهرجان تسالونيكى السينمائى الدولى باليونان عام ٢٠٠٤ فجر الفيلمان الإسرائيلى " أرض الميعاد" والهولندى " كوول" كل الجدل والاهتمام حولهما ...

أرض الميعاد (٢٠٠٤)

مخرجه هو " عاموس جيتاى " الذى يتم الترويج له عالميًا وأحيانًا من سينمائيين مصريين بأنه ليس مخرج إسرائيلى يروج للصهيونية وذلك لنقده التطرف اليهودى فى بعض أفلامه مثل "كيدما" و "كادوش" لكنه فى فيلم "أرض الميعاد" ينتقد أساس الحلم الصهيونى ذاته .

فهو يحكى قصة مجموعة من الفتيات الروس اللاتى يتم إدخالهن إلى إسرائيل للعمل فى الدعارة .. وكيف يعاملون بوحشية من ضرب واغتصاب ودفع للتعرى الجماعى فى رحلتهن من الحدود المصرية - الاسرائيلية مرورًا برام الله حيث يشترك الفلسطينيون فى عملية نقلهن وصولا إلى إيلات لكى ينتقلن للعمل بالدعارة فى ملهى "أرض الميعاد" بحيفا ... فتاة واحدة منهن ترفض تلك العبودية وتطلب من فتاة اخرى (وافدة عليهن) أن تساعدها على النجاة ... إلا أن انفجار ملهى "أر ض الميعاد" يمنح لهن الفرصة للهرب من وسط النيران (كالجحيم) وتخرج الفتاة فى طريق سريع للسيارات صارخة "أنا حرة").

والمعنى هنا واحد والرمزلايحتاج إلى تفسير (أرض الميعاد تحولت إلى ملهى للدعارة) وأصبحت الجحيم ذاته. لكن عاموس جيتاى إسرائيلى فى النهاية. يحمل فيلمه الكثير من الأفكار الخبيثة المضادة للعرب.فالمشاهد الأولى تبدأ فى صحراء سيناء فى مصر؛ حيث يقوم مجموعة من البدو بنقل الروسيات لتجار البغاء على الحدود وقبل ذلك نسمع من بين حوارات البدو أحدهم يقول: "طول عمرنا عايشين هنا، عدى علينا الأتراك والإنجليز واليهود والمصريين و إحنا برضه هنا الصحراء بلدنا " . ثم يقوم أحد البدو بأخذ فتاة عنوة واغتصابها بوحشية. وهكذا فخطورة تلك الأفكار أنها تجد طريقها فى هذا التوقيت الصعب لمهرجانات السينما العالمية مروجة لأفكارها الخبيثة

عن الوضع على الحدود وعن أحوال البدو. ولهذا لا بد أن ننتبه لإنتاج أفلام ترد على ذلك باعتبار أن هذا من متطلبات الأمن القومى المصرى والعربى. فيبدو أننا عدنا لزمن البروباجندا وعلينا أن نرد .

كول (٢٠٠٤)

آخر أفلام المخرج الهولندى " ثيو فان جوخ " الذى قتل بأمستردام على أيدى شخص أصوله عربية كان قد شاهد فيلمه " الخضوع " الذى يحتوى إساءة بالغة للإسلام .

والحق أننى صدمت وأنا أشاهد هذا الفيلم على شاشة الإنترنت. فهو لا ينتقد هنا الإسلام نقدًا قابلاً للجدال والنقاش. لكنه يهين المقدسات والمشاعر بمنتهى البجاحة . فيهين " صلاة " المسلمين عندما يظهرفتاة منقبة تصلى ونصف جسمها الأمامى عار. ويهين "القرآن" عندما يظهرفتاة عارية مكتوب على ظهرها آيات منه .

والغريب أنه رغم معرفة الجميع بكراهية ثيوفان جوخ للإسلام وانتقاداته لأى شىء يتعلق بالمسلمين فإننى لم أجد ذلك فى فيلم" كول" رغم أن أربعة من أبطال فيلمه يقدمون شخصيات مغربية. وهو يحكى عن مجموعة من الشباب الضائع فى امستردام الذين يكونون عصابة للسرقة، ثم يتم القبض عليهم فى إحدى العمليات ويوضعون بعد ذلك فى مدرسة للتأهيل يخرجون منها بعد ١٨ شهرًا وقد تركوا الإجرام وأصبحوا أكثر التزامًا. لكن قائدهم شاب هولندى أبيض لا يتم القبض عليه وهو الشخصية التى لا بد أن يكرهها أى مشاهد لأنها مليئة بالشر. لهذا يضحى به المخرج ويجعله فى النهاية يقتل. أما الشخصيات المغربية فلا بد أن تتعاطف معها فهى شخصيات محببة لطيفة الطباع. وحتى لو اشتركت فى أعمال سرقة فى البداية إلا أنها تخرج للمجتمع ملتزمة بعد قضاء وقت الإصلاح، بل ونسمع خلال

الحوار بين ضباط البوليس (أنهم يعتبرون هولنديين وليسوا مغاربة عربًا) فى إشارة إلى انتمائهم إلى المجتمع الذى يعيشون فيه. ثم يظهرالمخرج فى لقطات قليلة فتاة محجبة (شقيقة أحد الأبطال) ويعلق عليها أحد الضباط بأنها جميلة ولا يظهر أى ازدراء منها يظهر أهم المدرسين بالمدرسة مغربى هو الآخر وشديد الإيجابية. ترى ما سبب موضوعية فان جوخ فى هذا الفيلم وهو الذى لم يترك مناسبة إلا وازدرى فيها الإسلام. من المؤكد أن سره ذهب معه بموته.

الفصل الثانى

٢٠٠٥ : أوروبا تدخل معركة العرب
بكامل عتادها السينمائى

النمر والثلج (٢٠٠٥)

" النمر والثلج " الذى كتبه وأخرجه وقام ببطولته الإيطالى روبرتو بنينى الحائز على ثلاث جوائز أوسكارعن فيلمه" الحياة جميلة ". ويتناول حرب العراق فى وقت اقتحام القوات الأمريكية لها من خلال شاعر إيطالى وضعته الصدفة هناك. ثم نرى كيف يعيش قصة حب أثناء تلك الأحداث الدامية. ورغم التخوف من آراء بنينى قد تؤثرعلى الأحداث فإنه أعلن بوضوح أنه ضد موقف الغرب من الحرب وقال: "لقد صنع الحرب غربيون تعلموا فى الغرب. إنهم يدمرون شرقًا نحبه وندين له بالكثير".

خلية هامبورج (٢٠٠٥)

الفيلم الإنجليزى (خلية هامبورج) وهى الخلية الجهادية التى أفرزت محمد عطا الذى قاد اعتداءات ١١ سبتمبر وزملاءه. والفيلم الذى يمزج بين الروائى والتسجيلى (دوكيودراما) وأخرجته انطونيا بيرد يركز بشكل أساسى على شخصية زياد جراح اللبنانى الجنسية وكيفية تحوله من طالب متفوق بكلية الهندسة قادم من أسرة غير متدينة إلى متطرف يتبنى أفكار تدمير أمريكا التى تمثل الشيطان. لا يفرق بين

أمريكا البشر وأمريكا السياسة ولا بين الأبرياء من الأمريكان والجناة منهم.

ويبدأ الفيلم بحالة غسل المخ التى تعرض لها فى أفغانستان وينتهى بركوبه الطائرة ٩٣ التى اتجهت لتفجير البيت الأبيض. ولقد أنصفت جريدة الجارديان البريطانية - المعروفة برصانتها - الفيلم ورأت أنه يقدم صورة موضوعية عن أعضاء خلية هامبورج قائلة عنهم: " فلم يقدمهم باعتبارهم أبطالًا أو باعتبارهم أشرارًا تقليديين" .

تحرش (٢٠٠٥)

الفيلم اليابانى " تحرش " يتحدث عن الاضطهاد الذى تعرضت له فتاة يابانية شابة كان قد تم أخذها رهينة بواسطة جماعات العنف العراقية. وعند عودتها لبلادها يعاملها الجميع بقسوة شديدة وكأنها ارتكبت جرمًا، فيلقون عليها بالشتائم ويتحرشون بها جسديًا، بل ويصل الأمر إلى حد طردها من العمل. فتقرر فى نهاية الفيلم أن تعود إلى عملها الإنسانى فى مساعدة الأطفال العراقيين ورغم أن كلمة العراق لم تذكر فى الفيلم ولو لمرة واحدة بالفيلم لكن شبحها كان موجودًا طوال الوقت ومخرج الفيلم قد اعترف بأن فيلمه مأخوذ عن قصص حقيقية ليابانيين قرروا العودة للعراق بعد أن تدخلت الحكومة بنفسها لتحريرهم مقابل دفع مبالغ مالية ضخمة، بل وخرج رئيس الوزراء اليابانى على شاشات التليفزيون لينتقدهم علنًا ويقول: "كم هم نائمون، ألا يعرفون حجم الجهد الذى بذلناه لتحريرهم. كيف يعودون إلى العراق ؟"

والفيلم يقصد إظهار جوانب من قسوة المجتمع اليابانى الحالى ويحلل أسباب انعدام الرحمة به اليوم.

قوة الكوابيس: (٢٠٠٥)

" قوة الكوابيس" فيلم تسجيلى إخراج الإنجليزى آدم كيرتس. فى ثلاث ساعات كاملة قدم الفيلم تحليلًا ´امًلا لنمو ظاهرة الإرهاب فى العالم والأسباب التى أدت لتطوره ومن خلال لقطات أرشيفية نادرة وحوارات خاصة جدًا ومعلومات تذاع لأول مرة. أكد الفيلم أن فكر سيد قطب أحد أقطاب الإخوان المسلمين بمصر وفكر ليفى شتراوس الفيلسوف والأب الروحى لجماعة المحافظين الجدد فى امريكاهما معا السبب فى هذا الكابوس الذى يحتل العالم الآن. وتأمل الفيلم جيدًا وتحليله هو السبيل الوحيد لمعرفة صحة نظريته .

يقول الفيلم إن رجال السياسة قد اكتشفوا بعد الحرب العالمية الثانية أن الشعوب لم تعد تؤمن بعد بالأيديولوجيات التى تعد بأحلام كبرى وبمستقبل أفضل، لذا وجد هؤلاء السياسيون أن أفضل طريقة للسيطرة على الجماهير هى إثارة الخوف والكوابيس بداخلهم من أعداء مجهولين ومن أفكار غير مفهومة لهم . يبدأ الفيلم عام ١٩٤٩ بسيد قطب، والذى كان – آنذاك – مدرسًا بالتربية والتعليم بمصر؛ حيث يتم إرساله إلى ولاية كولورادو الأمريكية فى منحة دراسية ويتوصل إلى نتيجة أن وراء الازدهار الأمريكى الظاهرانغماس فى الغرائز والطموحات المادية مما يقضى على أى قيمة أخلاقية للإنسان هناك. ويعود سيد قطب إلى مصر مبلورًا منهجه الذى يعتمد على الاستعلاء على الواقع وضرورة ألا تصبح مصر صورة من أمريكا والسبيل إلى ذلك هو الدولة الإسلامية شكلاً وموضوعًا ويصطدم فى ذلك مع عبد الناصر الذى أراد لمصر أن تكون دولة علمانية وعلى علاقة بالغرب كما يقول الفيلم. الذى ادعى أن عبد الناصر مد الأواصر مع أمريكا ووافق على أن يأتى ضباط من المخابرات الأمريكية

للمساهمة فى إنشاء المخابرات المصرية. ويصطدم عبد الناصر مع سيد قطب والإخوان ويضعهم فى المعتقل ويعذبهم ويعرض الفيلم لقطات من فيلم الكرنك كصورمن ذلك التعذيب ويبدأ سيد قطب فى إنشاء مفهوم الجاهلية ويظهر فؤاد علام رئيس جهاز أمن الدولة السابق ليقول بالفيلم إن قطب كانت لديه أفكار هدامة مثل نسف القناطر الخيرية لإغراق دلتا مصر لأن كلها كفرة وبالطبع يتم إعدام سيد قطب وتظهر لقطات نادرة للمحاكمة التى عقدت له. ثم يذهب الفيلم لأمريكا حيث يرصد ظهور أفكار الأستاذ بجامعة شيكاجو الفليسوف ليفى شتراوس الذى رأى أن ازدياد الاتجاه الليبرالى يهدم كل القيم الأخلاقية تحت مسمى الحرية وانتشرت كتاباته التى تدعو إلى ضرورة إنقاذ روح الأمريكيين من الفساد وكان من تلامذته بول وولفوتيز مهندس الحرب على العراق وفرانسيس فوكوياما مؤلف كتاب نهاية التاريخ الشهير، واللذان أنشآ معًا جماعة المحافظين الجدد التى انضم لها لاحقا ديك تشينى ودونالد رامسفيلد. ويعود الفيلم إلى مصر لكى يقدم أيمن الظواهرى الذى تبنى أفكار سيد قطب وبدأ يطورها لإنشاء جماعة مغايرة عن الإخوان المسلمين. وفى عصر السادات يظهر الفيلم لقطات من عصر الانفتاح وإعلانات تليفزيونية من السبعينيات تقدم نمط الحياة الجديد ثم زيارة السادات للقدس وتحسين علاقته مع أمريكا ثم محاربته للتيارات الإسلامية. ويظهره الفيلم فى لقطات لم تعرض من قبل أبدًا - معلقًا على قيام الثورة فى إيران وتزعم الخمينى لها قائلا إنها جريمة فى حق الإسلام أن تقوم ثورة وتقول إنها إسلامية خاصة و بعدما طبع الخومينى أفكار سيد قطب وصوره على كتيبات الثورة لم تكذب. جماعة الجهاد خبرًا وقامت باغتيال السادات المروج لقيم الانحلال والفساد والذى أصبح كافرًا من وجهة نظرهم.

فى أمريكا يعود الفيلم للمحافظين الجدد الذين استطاعوا اختراق إدارة الرئيس رونالد ريجان وبدءوا فى تنفيذ مخططهم فى السيطرة على اتجاهات وأفكار تلك الإدارة. فى البداية بدءوا يزرعون الخوف فى النفوس من تأثير الأسلحة السوفيتية وأظهروا ضباط روس يصبون الدم الأحمر على الكرة الأرضية بسعادة أواختلاق قصص عن وجود أسلحة سرية سوفيتية تحت الأرض وعملاء لهم فى كل مكان ، واستخدموا السينما والتليفزيون لنشر تلك الأفكار. ونجحت مساعيهم فى أن ينتشر الاتجاه اليمينى المحافظ فى أمريكا وتمتلئ الكنائس بمؤتمرات الاعتراض ضد الليبراليين والشيوعيين ويسيطر الخوف من السوفييت على الجميع. أما فى مصر فيعود الفيلم لأيمن الظواهرى ويقدم للمحاكمة وكيف وقف أمام وكالات الأنباء ليقول من نحن وماذا نريد: " نحن - المسلمين - نريد تطبيق الإسلام فى بلادنا أيديولوجية وممارسة " ، ثم يخرج من السجن بعد ثلاث سنوات ويسافر بعد ذلك بقليل إلى أفغانستان للجهاد ضد السوفييت ويأتى ذلك على هوى أمريكا التى يظهر أحد ضباط مخابراتها المسئول عن دعم المجاهدين العرب فى أفغانستان ويقول إن أمريكا دعمتهم هناك بمليار دولار فضلا عن صواريخ حديثة. ويقدم الفيلم وصول عبد الله عزام إلى بيشاور فى باكستان، وكيف أصبح أكثر الشخصيات شعبية لكونه مسئولا عن مكتب تجنيد المجاهدين العرب القادمين للحرب فى أفغانستان ، وإن ذلك لم يكون على هوى أيمن الظواهرى الذى أسس هناك مجموعة مواليه له، حتى وصول ابن لادن لاحقًا لكابول بكميات ضخمة من الأموال أنعشت المجاهدين بعد توقف التمويل الأمريكى. ويحكى الفيلم كيف تم الاتفاق بين الظواهرى وابن لادن على تنصيب الأخير كأمير للجماعة مقابل أن يقوم بالتمويل بل وينسب الفيلم لتحالفهما السبب فى قتل عبد الله عزام بسيارة مفخخة فى باكستان

لكى ينفردا بالزعامة فى الساحة. ثم يظهر مؤتمر صحفى نادر لابن لادن والظواهرى يعلنان فيه عن بدء الجهاد الجديد وهو ضد أمريكا واليهود والمسيحيين معا، وهو ما استغله المحافظون الجدد باعتباره الخطر الجديد على أمريكا. حيث كان الاتحاد السوفيتى قد سقط ولا بد من إيجاد مصدر خوف جديد وكبيرللتحكم فى الشعوب. لم يتجاوب الرئيس كلينتون مع أفكار المحافظين الجدد فدبروا له فضيحة " وايت ووتر " الذين اتهموه فيها بقتل أحد أعوانه وبالاتجار فى المخدرات. ويقدم الفيلم صحفى من وسكنسون يعترف بأنه كان من عملاء المحافظين الجدد وأنه هو الذى دبر الفضيحة لكلينتون واختلق وثائق وشهود. ثم تمت المبالغة فى فضيحة مونيكا لوينسكى لتكون الضربة الأخيرة لخروج كلينتون من السلطة. كان ابن لادن والظواهرى قد بدءا تنفيذ مخططهما بضرب السفارة الأمريكية فى تنزانيا وكينيا لكى يعطوا فرصة العمر للمحافظين الجدد فى تأكيد شكوكهم لكن ضربة الحظ الكبيرة لهم يراها الفيلم فى أحداث ١١ سبتمبر التى يؤكد المخرج أنها من تخطيط وتنفيذ خالد شيخ وأن دور ابن لادن يقتصر على الدعم ومن هذه اللحظة خلق المحافظون الجدد للعالم ولأمريكا كابوسًا جديدًا اسمه تنظيم القاعدة ادعى بوش ورامسفيلد أنه موجود فى أكثر من ٦٠ دولة وأكد الفيلم من خلال شهادات الأمريكيين وزملاء لابن لادن أنه تنظيم ضعيف غير موجود إلا فى أفغانستان. ويظهر المخرج كيف أن ابن لادن لم يكن مختبئًا فى قصر محصن بالأسلحة النووية تحت الأرض كما ادعى رامسفيلد وأظهر رسم مجسم لهذا القصر . يستمر الفيلم فى سرد الحقائق ويقول إن ابن لادن والظواهرى حاولوا قبل ١١ سبتمبر أن يقوموا بأعمال عسكرية فى مصر والجزائر لتغيير نظام الحكم وكيف أنهم فازوا بالانتخابات فى الجزائر ثم ألغاها الجيش، وكيف فازوا فى مصر بانتخابات نقابات

كثيرة ومقاعد ملحوظة فى البرلمان. لكن الفيلم يؤكد أيضا أن الشعوب فى مصر والجزائر لفظتهم لاتباعهم أسلوب العنف من خلال الدين .

ويعرض الفيلم نماذج لأفكار جبهة الانقاذ الإسلامى بالجزائرالتى قالت إنها ليس لديها مانع من إعدام كل الجزائريين لأنهم أصبحوا كفرة. ومن مصر لقطات للحوادث الإرهابية ومنها مذبحة الأقصر التى قرر بعدها قادة الجماعات الإسلامية وقف العنف وتوجيه الصراع الدموى نحوالغرب وتحديدًا أمريكا.

مع التحالف الكبير بين بوش الابن والمحافظين الجدد يقول الفيلم إن الكوابيس وأوهام الخوف هى التى أصبحت تحكم السياسة الأمريكية الآن داخليًا وخارجيًا ويعرض نماذج لشباب عربى تم القبض عليهم فى أمريكا ظلمًا بعد اختلاق قصص إعدادهم لعمليات إرهابية (فعندما يزورون ديزنى لاند فسوف يفجرونه وعندما يرسل أحدهم رسالة لأصدقائه يدعوهم لزفافه فى البحرين فتلك شفرة) ويظهر بالفيلم أساتذة أمريكيون وفلاسفة ومسئولون سابقون يحللون كذب تلك الأوهام ويفندون بالمعلومات كيف خلق المحافظون الجدد أسطورة تنظيم القاعدة والمبالغة الكبيرة فى قوته بل ويقدم الفيلم شهادات لإرهابيين سابقين تؤكد ذلك. أما المضحك فهو ظهور أفراد من المحافظين الجدد كريتشارد بيرل مستشار الأمن القومى الأمريكى السابق الذى يؤكد على أنه كان لابد أن يظهروا أمام العالم أن أمريكا تخوض صراعًا بين الخير والشر، وكان هذا الشر فى الماضى البعيد الليبرالية الأمريكية المنحلة وفى الماضى القريب الاتحاد السوفيتى وفى الحاضر الإرهاب الإسلامى.

المدهش أن هذا الفيلم بكل موضوعيته إنتاج قناة بى . بى . سى الإنجليزية الحكومية فى وقت تعتبر إنجلترا فيه أكبر حليف لأمريكا.

لكن يبدو أننا نتأكد كل يوم أنه رغم تأثر بعض وسائل الإعلام الغربية بسياسات حكوماتها .لكن الفنانين الأصلاء والمثقفين كمخرج الفيلم آدم كيرتس، لا يستطيع أحد أن يمنعهم من ممارسة حريتهم فى التعبير والرأى أيًا كان هذا الرأى .

مختبئ (٢٠٠٥)

طالما ولدت لا تستطيع الاختباء (٢٠٠٥)

جاءت مسابقة مهرجان كان ٢٠٠٥ بفيلمين عن المهاجرين فى الدول الأوروبية وهما "مختبئ" للنمساوى مايكل هانيكاه ، و"طالما ولدت لا استطيع الاختباء" للإيطالى ماركوتوليو جيوردانا والفيلمان يقصدان اختباء الأوروبيين من مشكلات المهاجرين وعلى الأخص العرب .

مختبئ: يحى فيلم هانيكاه عن مذيع تليفزيون فرنسى "دانيل اوتوى" يتلقى رسائل وشرائط فيديو مجهولة لمشاهدة عنف ثم لمشاهد له مع أسرته فى الشارع مصورة بكاميرا خفية ورسائل تمس حياته الشخصية فيبدأ فى البحث فى ماضيه عمن يكون قد أرسل له بتلك الرسائل. ويتذكر أن أباه قد تبنى طفلًا جزائريًا تعرض والده للقتل والرمى فى نهر السين. ونعرف أن البطل عندما كان طفلًا دبر مكيدة لكى يتم طرد الطفل الجزائرى من منزلهم ويبحث المذيع عن أخيه المتبنى السابق ويجده يعيش بباريس حياة بائسة. يضيق عليه الخناق لكى يعترف أنه هو الذى يهدده بالرسائل فينفى الجزائرى ذلك بشدة. وفى لحظة انهيار نفسى وهروب من ضغوط الحياة وضغوط شقيقه الفرنسى يذبح الجزائرى نفسه أمام المذيع الذى ينسحب بهدوء ويدخل غرفته ويغلق كل الستائر " ويختبئ". لم يكن صعبًا قراءة المغزى العام للفيلم، فالمخرج يتهم أوروبا بأكملها بانها تمارس فظائع ضد العرب وكلما حدثت مصيبة الآن تتهمهم أنهم وراءها وبذلك فهى تؤذيهم مرتين قديمًا

وحديثًا. وعندما تجدهم ينهارون تكتفى بالانسحاب السلبى والاختباء من المسئولية .هكذا يرى واحد من أعظم المخرجين الأوروبين فى فيلم حائز على جائزة الإخراج بالمهرجان فضلا عن أغلب جوائز أكاديمية الفيلم الأوروبى .

طالما ولدت لا تستطيع الاختباء: فيلم ماركو توليو جيوردانا يحكى عن طفل إيطالى فى الثانية عشرة يقع فى البحر فى غفلة من أبيه وتنقذه مركب متواضعة بها مهاجرون غير شرعيين أثناء تسللهم لشمال إيطاليا. يتعلق الطفل بمراهق رومانى وأخته ويصر على الذهاب معهما للملجأ الكنسى الذى وضع فيه هؤلاء المتسللون حتى يقر بقاءهم أو طردهم. ورغم أن القصة بأكملها تحكى عن علاقة الطفل بالرومانيين فإن العرب والمسلمين كانوا الأغلبية فى المركب والملجأ. وامتلأ الفيلم بصلواتهم وعباداتهم إلى حد تكرار ذكر آيات قرآنية شريفة خلال أحداث الفيلم. وتجلى ذكاء الفيلم فى اختيار طفل أوروبى لنرى من خلاله قضية المهاجرين بدون أيديولوجيات مسبقة مع أو ضد. ففطرة الطفل تعاطفت مع المهاجرين وأحبتهم ولم تر فيهم عيبًا لمجرد أنهم من جنسيات مختلفة عنه. ضف على ذلك عذوبة السرد واستخدام أسلوب الإيحاء مما زاد الفيلم بلاغة وقوة تعبير .

يحفل " طالما ولدت لا تستطيع الاختباء " بوجهة نظر فى غاية الشجاعة مفادها أن هناك حقًا إنسانيًا لابد أن تدفعه المجتمعات الغنية للمجتمعات الفقيرة باعتبار الجميع أشقاء فى الإنسانية وأنه لا يمكن الاختباء من المهاجرين الذين أصبحوا شركاء لأوروبا فى الوطن .

كلا الفيلمين يؤكد الشعور القوى بالذنب الذى يشعر به المخرجان مما فعله الغرب اتجاه الشرق. بل ونستطيع أن نرى اعتذارًا قويًا نابعًا من قلوبهما. كما أن هناك فيلمًا ثالثًا بعنوان "القدس الصغيرة " تم

عرضه فى مهرجان كان فى العام ذاته تحدثت مخرجته كارين البو عن عائلة يهودية متشددة ترفض ابنتهم الحياة على طريقتهم وتجد الحل فى الوقوع فى حب شاب جزائرى أظهرته نبيلًا ورقيقًا، بل وساحرًا كما قالت عنه بطلة الفيلم.

الفصل الثالث

٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٨: فرنسا من منتهى الحب إلى منتهى الكراهية

أزور وأسمر: (٢٠٠٦)

فيلم الرسوم المتحركة " أزور واسمر" يرحل بعيدًا عن عالم الواقع ويرتحل لعالم الأسطورة. هذا الفيلم الرائع الذى عُرض فى قسم نصف شهر المخرجين خلال مهرجان كان ٢٠٠٦ يحكى عن طفلين تربيا معًا ورضعا من نفس السيدة، أولهما " أزور" أشقر بعيون زرقاء والسيدة هى مربيته والآخر هو " أسمر" والسيدة هى أمه الحقيقية.

تحكى لهم السيدة عن أسطورة أميرة الجن ويحلم كل منهما بالوصول إليها والزواج منها. يظل الطفلان يكبران معًا وهما يتشاجران على كل شىء، وفجأة يقرر سيد المنزل والد الطفل الأشقر طرد المربية السوداء وابنها أسمر. يكبر أزور وما زالت مسيطرة على رأسه أسطورة أميرة الجن، يركب البحر، تتعثر مركبة وترسو به فى بلاد غريبة يتكلم فيها الناس باللغة العربية ويخافون منه بسبب عيونه الزرقاء التى تجلب اللعنة من وجهة نظرهم ، يدعى العمى ويتعرف على متشرد أعمى أيضا يذهب به إلى المدينة ، تقوده المصادفة إلى منزل سيدة لها

باع كبى هناك ليكتشف أنها مربيته وأمه بالرضاعة، تقابله بالأحضان وترحب به بكل الصور، حتى يأتى " أسمر" الذى يقابل أخاه فى الرضاعة بفتور وبرود كبيرين، تخبرهما المربية أن أسمر فعل ذلك؛ لأنه مشغول بالرحلة التى سيقوم بها للعثور على أميرة الجن، فيتحمس "أزور" هو الآخر ويقول إنه ارتحل من بلاده لهذا السبب. يقابل أزور الأميرة شمس الصباح أميرة البلاد ليكتشف أنها طفلة صغيرة فتقول له إنها ستساعده فى رحلته كما ساعدت " أسمر". يرحل الاثنان فى رحلة البحث عن أميرة الجن، يصلان الجزيرة، يواجهان الأعداء معًا، يضحى أسمر بنفسه من أجل أن يفلت أزور من قبضة الأعداء، لكن أزور يصطحبه معه داخل مغارة الجنية، يصلان معًا إلى مكان أميرة الجن، التى تطلب من الجنى الطبيب إنقاذ حياة " أسمر". تأتى ابنة عمة الأميرة وهى شقراء،تحب أسمر وتتخذه زوجًا لها فيما تصبح أميرة الجن من نصيب أزور.

لا تجد جهدًا فى هذا الفيلم لتعرف أن البلد الأول هو فرنسا والبلد الثانى؛ حيث تعيش شمس الصباح هو " المغرب ". أغلب حوار الفيلم باللغة العربية المبسطة، وما يثير الإعجاب هو أن المشرفة على الأداء باللغة العربية هى الممثلة الفلسطينية هيام عباس التى ظهرت فى عدد كبير من الأفلام المهمة آخرها "الجنة الآن" و "ميونخ". أما أجواء الفيلم وموسيقاه وديكوراته (نعم فبأفلام الرسوم المتحركة ديكورات وملابس أيضا مثل الفيلم الروائى) فكلها مستمدة من الثقافة العربية بتراثها الطويل الممتد.

يقول ميشيل أوسيلوه مخرج الفيلم وصانع شخصياته ورسومه: "لقد كانت لدى الحرية الكبيرة لانتقاء الدرر الثمينة من جماليات التراث

العربى.. والإسلامى، فمزجت بين الفن التركى والأندلسى والفارسى وصنعت عالمًا مليئًا بالجمال، ليكتشف كل متفرج كما كانت تلك الحضارات ثرية ورائعة ".

ولكن رسالة الفيلم ليست فى إظهار روعة التراثين العربى والإسلامى فقط ، ولكن فى القضية العظيمة التى يقدمها. إنها فرنسا مجدداً التى طردت العربى وأمه بعد أن أرضعت تلك الأم أطفاله، ثم عاد العربى وضحى بنفسه من أجل الفرنسى، ثم جاء الفرنسى وفاز هو بالحلم (وهو هنا أميرة الجن) ولترضية العربى تم اختراع ابنة عم الأميرة الجن فى آخر لحظة لتحدث العدالة الشعرية. مظلوم دائمًا هذا العربى، فحتى لو استيقظ السينمائيون وحاولوا رد اعتباره فى الأفلام، فهل يغير ذلك له شيئًا فى عالم الواقع.

محامى الإرهاب: (٢٠٠٧):جميلة بو حريد تعود للحياة مرة أخرى

"المناضلة الجزائرية الكبيرة جميلة بو حريد التى كانت أحد العوامل الأساسية فى تحرير الجزائر وتحقيقه للاستقلال، عادت للأضواء مرة أخرى، ولكنها لم تعد وحدها إلى بؤرة الاهتمام بل عادت ومعها زوجها المحامى الفرنسى الأشهر جاك فيرجيس فى فيلم تسجيلى عنه هو بالأحرى وعنوانه " محامى الإرهاب".

ورغم أن هذا الفيلم هو وثيقة تسجيلية سياسية عن الخلايا التى تنفذ العمليات الإرهابية وتعيش تحت الأرض فإن أكثر ما فى الفيلم دفئا هو بدايته وهو الجزء الخاص بقصة جميلة بو حريد مع النضال، حتى الكتابات النقدية من النقاد الغربيين التى علقت على الفيلم بعد عرضه ركزت على هذا الجزء واعتبرته أكثر أجزاء الفيلم إنسانية. ويحكى الفيلم كيف انجذبت تلك الفتاة الصغيرة الجميلة إلى النضال

من أجل تحرير وطنها، وهى التى كانت مجرد خياطة، حتى تلقفها ياسف سعدى،مسئول الجناح العسكرى فى جبهة التحرير الوطنية بالجزائر ونرى فى الفيلم أكثر من عملية نفذتها واشهرها عملية "ميلك بار" التى قتل فيها أحد عشر شخصًا، وجرح ١٠٥ شخص وهى العملية التى تم تنفيذها فى ٣٠ سبتمبر ١٩٥٩ وجرحت فيها بوحريد بعد أن أطلق النار عليها بالخطأ أثناء محاولتها تغطية العملية. قبضت السلطات الفرنسية على جميلة، وأخذت تعذبها لمدة ١٧ يومًا متواصلة ورغم ذلك خرجت مبتسمة مرفوعة الرأس أثناء محاكمتها حتى أن قاضيها الفرنسى تعجب لذلك وقال لها ناهرًا: " ما الذى يضحكك إن الموضوع جاد". وما أن تطوع المحامى الفرنسى جاك فيرجاس للدفاع عنها حتى وقع فى غرامها وجعل جل اهتمامه براءتها، لكن السلطات حكمت عليها بالإعدام فلم ييأس وقاد حملة إعلامية دولية جعلت أكثرمن رئيس دولة يتدخل طالبًا الإفراج عنها. وبالفعل نجحت مساعيه ويفرج عن جميلة وبعدها بقليل تتحرر الجزائر. وتعمل بعد ذلك فى الصحافة وتشارك جاك فيرجاس فى إصدار مجلة "الثورات الإفريقية " وترافقه فى رحلاته فى جميع بلاد العالم حتى الصين. وهناك يسأل الزعيم التاريخى ماوتسى تونج جاك فيرجاس متى ستتزوج أنت وجميلة؟ وبالفعل يتزوجان بعدها ويذهبان للحياة بباريس مع جاك وينجبان اثنين من الأبناء، ولكن يبدأ جاك فى التغيير ويشعر بأن حياته خالية من الإثارة التى عشقها ومن الدور الذى اختاره لنفسه كداعم ومحامٍ لحركات التحرير فى العالم.

وفجأة يختفى جاك من حياة أسرته وحياة كل من يعرفونه لمدة ٨ سنوات خرجت فيها أقاويل كثيرة عنه ويتردد أنه قد يكون اختفى فى فلسطين لعلاقته الوثيقة بوديع حداد مؤسس عمليات المقاومة

الفلسطينية المسلحة، والذى اعتبرته الكثير من دول الغرب أول إرهابى دولى عن حق لم يتكرر له مثيل حتى ظهور تنظيم القاعدة.

وتردد أن يكون جاك فيرجاس قد اختفى فى ليبيا أو اليمن أو الأردن حيث كانت مقار معسكرات المقاومة الفلسطينية أو ربما فى الاتحاد السوفيتى التى أمضى أيامًا فى أحد مدارسها التابعة للكى جى بى، والتى تعلم فيها تقنيات قلب أنظمة الحكم أو فى جنوب إفريقيا لعلاقته بنيلسون مانديلا وفى كمبوديا لعلاقته بالزعيم بول بوت الذى تزعم الخمير الحر وتسبب فى حركته للتطهير العرقى فى قتل مليون ونصف مواطن من كمبوديا ، يدخلنا الفيلم فى دهاليز هذا المحامى الفرنسى جاك فيرجاس ويؤكد لنا كم هو لغز حقيقى لم يستطع أحد اكتشافه ولا حتى أى من الشخصيات العشرين الذين يستضيفهم الفيلم سواء أكانوا خبراء أم مؤرخين أم صحفيين متخصصين أم حتى ممن عاصروا عصر فارجاس وكانوا أصدقاءه أو شاركوه رحلته الشائكة العجيبة.

يكفى أن نقول إن هذا الرجل بعد عودته من اختفائه الذى دام ثمانى سنوات قام بالدفاع عن مجموعة كبيرة من الشخصيات التاريخية المتناقضة فى اتجاهاتها بل والمتناقضة مع اتجاهه هو الأول كمناضل، فقد دافع عن السفاح ميلوسوفيتش وديكتاتور كمبوديا العنصرية خيوسامتان، ودافع ايضا عن الفيلسوف الفرنسى المعتنق الإسلام روجيه جاروى، بل وطلب التطوع للدفاع عن صدام حسين عندما ألقت القوات الأمريكية المحتلة القبض عليه فى العراق.

لكن القصة الأكثر سخونة فى الفيلم هى قصة جاك فيرجاس مع المناضل السابق ثم الإرهابى الدولى (كارلوس) المحكوم عليه الآن فى فرنسا والذى قام بتنفيذ أكبر مجموعة من العمليات المسلحة خلال

السبعينيات والثمانينيات فى البداية لصالح وديع حداد وأنيس نقاش ومنظمات التحرير الفلسطينية المختلفة، ثم قاطع الفلسطينيين وبدأ يعمل لصالح الحركات الثورية الأخرى فى العالم قبل أن يقرر أن يقوم بالعمليات بشكل مستقل لحسابه الخاص ومن أجل المال فقط. ووصل به الأمر إلى أنه أرسل عشيقته التى أصبحت زوجته ماجدالينا كوب وأحد أفراد خليته الألمانية إلى فرنسا ومعها إرهابى آخر هو بورنو بريميه لإجبار فرنسا للإفراج عنه، ولما رفضت قام بتنفيذ مجموعة من التفجيرات فى أماكن حيوية هناك حتى رضخت فرنسا وأفرجت عنهم ولكنها لم تنس له ذلك. فقامت باختطافه عندما كان فى السودان بعد فترة قضاها فى سوريا حتى طردوه. وفى فرنسا يذهب جاك فيرجاس للدفاع عن كارلوس ويظهر الفيلم ما بينهما من علاقة متوترة رغم أنهما أصدقاء فى السابق. ثم يتخلى فارجاس عن الدفاع عن كارلوس بدون أن يقول لنا لماذا وهو الذى يقبل الدفاع عن أى شخصية جدلية، لكنه الغموض الذى يحيط بجاك فيرجاس الذى يعد بالفعل أحد الألغاز الحية فى زماننا. فلا أحد يعرف من هو تحديداً. فإذا كان جاسوسًا أو عميلًا سريًا للمخابرات ، فمع كم جهاز مخابرات يعمل.

وفيرجاس كان مرتبطًا بعلاقات وثيقة مع العديد من الدول وقاداتها فى السابق وفى الحاضر وفى الخفاء أكثر منها فى العلن. وإذا كان خطرا أو مكروهًا أو مطلوبًا من أى جهة وهو حال الذى يلعب على كل الحبال، فكيف ترك حتى الآن وهو الذى تجاوز الثمانين من عمره بدون أى محاولة لاغتياله، ولماذا ترك أولاده من جميلة بو حريد بدون أى علاقة معهم؟ بل وكيف ترك جميلة ذاتها للدرجة التى جعلتها تعتكف فى الجزائر وتختفى عن الأنظار وترفض تولى أى منصب عام أو أى دور سياسى؟

كل تلك الأسئلة تركها لنا الفيلم الرائع " محامى الإرهاب " الذى أخرجه المخرج الألمانى الكبير باربيت شرودر الذى يعد من أعلام السينما فى العالم.

"من السيئ أن يحبك الحمقى (٢٠٠٨) ": ومن الصعب أن يحبك الغرب

هو فيلم " من السيئ أن يحبك الحمقى" من أكثر الأفلام التى صدمتنى بحياتى. ومصدر الصدمة هنا ليس لعيوب فى مستواه الفنى أو لضعف فى المتن أو تفتت لشحنة الإبداع بداخله، لكن السوء مكمنه أنه فيلم موجه ومغرض إلى أقصى حد ، يفتقد أسس الموضوعية والمنطق التى تميز الفيلم السينمائى وتعطى له قيمته وبعده المؤثر فى الزمن أيا كان التوجه الفكرى لمخرجه. والفيلم هو فيلم تسجيلى يقدم للقضية التى رفعها مسجد باريس واتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا ضد جريدة شارلى إبدو الفرنسية المتخصصة فى الكاريكاتير، والتى أعادت نشر الرسوم المسيئة لرسول الإسلام محمد ﷺ التى كانت قد نشرتها الجريدة الدانماركية جيلاندز بوستر وسميت إعلاميًا (الرسوم المسيئة لمحمد) لأن كلها سخرية من النبى محمد بصور شتى كان أكثرها إيلامًا هو الرسم الذى يصور الرسول ﷺ وهو يرتدى عمامة مربوط بها قنبلة. جريدة شارلى إبدو لم تكتف بإعادة نشر تلك الرسوم فقط بل قامت بعمل رسوم جديدة أكثر سخرية وأكثر إيلامًا نربأ عن ذكرها هنا. وبدا من تسلسل أحداث الفيلم أن المخرج ليس موضوعيًا بل ومتبنيًا كليًا لأفكار أصحاب جريدة شارلى ابدو وأنصارهم، بل ويسخر من كل الآراء المعارضة لهم وهى آراء مسلمى فرنسا الذين رفعوا القضية أو المتعاطفين معها كرأى الأب ميشيل ليلونج حامل

الدكتوراه وأحد مسئولى جمعية الآباء البيض والذى كان مع إدانة جريدة شارلى لنشرها الرسوم. وكان من قبل وراء منع بث قناة المنار اللبنانية التابعة لحزب الله فى فرنسا. ورأى أن ما جعله يمنع القناة لمهاجمتها اليهود هو نفسه ما يجعله يدين شارلى، ولتأكيد رؤيته المنحازة جاء مخرج الفيلم بالسينمائى اليهودى كلود لانزمان مخرج فيلم شواه الذى كان عن جرائد الكاريكاتير التى أصدرها النازيون قبل الحرب العالمية الثانية وسخروا فيها من الجنس اليهودى بأكمله. ورأى السينمائى ومعه مخرج الفيلم باتريس ليكونت أن السخرية من اليهود عنصرية وعداء للسامية أما سب المسلمين ونبيهم ودينهم فهو يدخل فى إطار حرية التعبير! وهذا حجر الركن فى مناقشة هذا الفيلم؛ فالمجتمع الأوروبى له موازين متغيرة وغير ثابتة عندما يتحدث عن الحرية. فقد تم شن حملة ضد الممثل الفرنسى ديودونيه؛ لأنه قدم اسكتشات كوميدية قلد فيها حاخام يهودى بسخرية، وتم منع ظهور أعماله بوسائل الإعلام الفرنسية ، ورغم أنه دافع عن نفسه بأنه سخر من شخصيات مسلمة ومسيحية من قبل لكن الاقتراب من اليهود كلفه الإقصاء وإنهاء حياته المهنية. وإذا نظرنا لفلاسفة أوروبا الكبار سنجد إيمانويل كانت فى تعريفه للحرية يقول عن الحرية إنها استقلال الإنسان عن أى شىء إلا القانون الأخلاقى.

أما الفيلسوف جون ستيوارت ميل فيقول إن الحرية مشروطة بألا تكون مفضية إلى إضرار للآخرين. وحتى كل القوانين الوضعية التى سنها الإنسان لتنظيم المجتمعات من دساتير البلاد وحتى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان تقيد الحرية بعدم الإضرار بالآخر، فهل وصلت حالة الإسلاموفوبيا (الكراهية المطلقة المصحوبة بالخوف من كل ما هو مسلم) إلى أن يتناسى المجتمع الغربى مبادئه وقوانينه؟ الإجابة للأسف

هى نعم. ولا أستطيع أن أصف للقارئ مدى قساوة لحظة العرض الرسمى لهذا للفيلم الذى حضرته بمهرجان كان حيث كان أغلب الحاضرين يضحكون لدرجة الهستريا من أى سخرية من أى مسلم أو من أى مظهر إسلامى. ترى هل اختفى من العالم العقلاء الذين يسعون لرأب الصدع بين الشعوب أو لإبعاد أشباح الاستفزاز وجرح المشاعر الدينية؟ أم أن الراديكالية تسيطر يومًا بعد آخر على عقول الأغلبية لتقود العالم إلى هوة سحيقة ونهاية محتومة؟

الفصل الرابع

٢٠١٠: حرب العراق وأشياء أخرى

(الطريق الأيرلندى): ٢٠١٠

للمخرج البريطانى الكبير كين لوتش الذى يعد من أهم مخرجى العالم .ولوتش من أشد المعارضين للسياسة الإسرائيلية. وجدد صيحاته الاحتجاجية خلال عام ٢٠١٠ اعتراضًا على التعدى الإسرائيلى السافرعلى قافلة سفينة الحرية . وأما عن فيلمه فالمقصود بالعنوان (الطريق الإيرلندى) أنه الطريق الواقع بين المنطقة الخضراء الآمنة ببغداد ومطار بغداد الدولى. وكان يعتبر أكثر طريق غير آمن فى العالم من كثرة عمليات القتل والتفجيرالتى تمارس فيه. ويحكى الفيلم قصة فارجوس العميل الإنجليزى الخاص الذى يعمل بالعراق الذى يقنع صديق عمره فرانكى للعمل معه هناك. ويبدأ الفيلم بقتل فرانكى ووصول جثمانه لليفربول ليبدأ فارجوس فى البحث عمن قتل توأم روحه. خلال رحلته نكتشف وحشية ما يسمون بالجنود المرتزقة بالعراق الذين يمارسون قتل العراقيين باستمتاع سادى مريض ويقدر عددهم بـ ١٦٠ الف جندى بالعراق. ويدافع فرجوس عن تواجدهم هناك بأن

الأموال بالعراق وفيرة، حيث مرتب المرتزق المبتدئ ١٢ ألف جنيه إسترليني بالشهر. يقدم الفيلم كيف أن فرانكى كان ضد قتل المدنيين العراقيين وأن ذلك كلفه عمره لأنه وشى على زملائه الذين قتلوا أسرة من الأبرياء ليكتشف زميله أن رؤساء الشركة الأمنية الخاصة هم المتسببون فى قتل فرانكى. ومن المعروف أن رؤساء الشركات المماثلة فى العراق كهاليبيرتون يحصلون على مرتب رسمى حوالى ٥٠ مليون جنيه إسترلينى بالشهر بالإضافة لتورط تلك الشركات فى عمليات غسيل أموال وتهريب مبالغ ضخمة تصل بالمليارات من العراق. حاول المخرج كين لوتش أن يظهر العراقيين باعتبارهم ضحايا بدون أى تعمق فى شخصياتهم باستثناء الموسيقى العراقى الذى لجأ اليه البطل لترجمة رسائل بالعربية كانت على محمول صديقه المقتول وظهر هذا الموسيقى بأخلاق نبيلة ومواقف بطولية وأدى الدور طالب رسول وهو موسيقى عراقى كردى مقيم بإنجلترا كلاجئ سياسى. فيلم مؤلم عن وحشية الحرب ووحشية من يصنعونها ومن يشاركون فيها. لكنه فيلم من مخرج كبير ينتصر للحقيقة قبل أن يكون منصفًا فى تقديم صورة العرب.

الباب الثالث

سينمائيون عرب وقضايا الهوية فى أفلامهم العالمية

الفصل الأول

علاقات عربية فرنسية مشتبكة

بلديون أو السكان الأصليون (٢٠٠٥)

يحكى " السكان الأصليون " عن أربعة شباب من عرب إفريقيا التحقوا بالجيش الفرنسى أثناء الحرب العالمية الثانية، مثلهم مثل ١٣٠ ألف جندى آخر من بلاد عربية وإفريقية كانت فرنسا تستعمرها، انخرطوا تحت لواء السلاح ليدافعوا عن " الوطن الأم "- كما قالوا لهم - ضد الاحتلال النازى. هؤلاء الأبطال الذين ضاعوا من ذاكرة التاريخ، يرينا الفيلم كيف انتصروا فى إيطاليا ثم فى منطقتى بروفانس وفوج فى معركتهم الأخيرة فى قرية صغيرة فى الألزاس ضد الألمان. والفيلم يحكى لنا ذلك التاريخ من خلال أربع شخصيات هى سعيد ، ياسر، مسعود ، عبد القادر. ورغم أننا نتابع مشاهد رائعة للحرب العالمية الثانية وأخرى ترجمت لنا روح هذه الفترة ، لكن الأحداث تروى من خلال وجهة نظر وأعين الشخصيات الأربعة. سعيد كان راعى غنم فى الجزائر شديد الارتباط بأمه، يأتى للجيش بشخصية أقرب للمراهق الذى لا يعرف شيئًا عن العالم ويجد ضابط الكتيبة يفصله عن زملائه حتى أن أحدهم وهو مسعود يطلق عليه لفظ " عيوشة" سخرية منه،

فيظهر له وللجميع وجهًا آخر ملىء بالرجولة والنخوة والغيرة على سمعته كرجل ويهدد مسعود بالقتل ويتوعد أيا من زملائه إذا حاول السخرية منه. " ياسر " هو مرتزق إلى حد كبير، كل همه تكوين ثروة من خلال البحث فى أمتعة وملابس ضحايا الأعداء، لكنه يفيق ويعود لذاته عندما يقتل أخوه " لاربى" أو العربى فى إحدى المعارك. أما مسعود فهو يحلم بالبقاء فى فرنسا ولهذا فهو يترك نفسه لحب فتاة من مارسيليا، لكن لسوء الحظ، تصادر الرقابة بالجيش الفرنسى كل رسائله الرومانسية لحبيبته. الأخير هو " عبد القادر" القائد الفطرى للمجموعة وهو ملىء بالحماسة والوطنية. وهو يصدق كلمات ديجول التى تقول إن الطريق لتحرير الجزائر هو الانتصار فى هذه الحرب. ودائما ما يشجع زملاءه على الصمود وبذل أقصى الجهد. وقد قال لى مخرج الفيلم فى حوار خاص إن تلك الشخصية مستوحاة من شخصيات عربية مهمة كانت تعتقد ذلك وعلى رأسها بن بيلا الذى خاض الحرب العالمية الثانية، ثم أصبح قوميًا عروبيًا بعد ذلك وانخرط فى حركة التحرير الوطنية. يتابع الفيلم المعارك التى يخوضها هؤلاء الأبطال واستعدادهم الدائم للتضحية بأنفسهم فى سبيل تحرير الجيش الفرنسى ورغم ذلك يعانون من الاضطهاد داخل الجيش ذاته. حتى الطعام لا يحصلون منه على ما يحصل عليه الجنود الفرنسيون، رغم أن طلقات الألمان لا تفرق بين أحد منهم كما يقول عبد القادر، الذى يسخر من شعار " الحرية والإخاء والمساواة " شعار الثورة الفرنسية الشهير، والذى أصبح رمز فرنسا الفكرى بعد ذلك.

يكتشف سعيد أن قائد كتيبتهم هو من أصل عربى هو الآخر، رغم أنه يحمل اسمًا فرنسيًا تمامًا. وعندما يواجهه بذلك ينفعل الضابط عليه ويطرده من منزله ويهدده إذا حاول إفشاء هذا السر. ويقدم الفيلم هنا نموذج آخر لعربى يهرب من أصوله.

يمتلئ الفيلم بحوار باللغة العربية (أو باللهجة المغاربية تحديدًا) والأبطال يذكرون دائما آيات من القرآن الكريم ، وهناك مشاهد كثيرة لأعضاء عرب من الجيش وهم يصلون، وأبطال الفيلم ذاتهم هم من أشهر الممثلين العرب من أصل فرنسى و المحبوبون جدا فى فرنسا وهم (جمال ديبوز) (مذيع التليفزيون الشهير) ورشدى زعيم وسامى بوعجيلة وسامى ناصرى، فهل يخدم هذا الفيلم العرب فعلًا ؟ وهل يساعدهم فى حل قضيتهم التى تفجرت فى فرنسا عقب أحداث الضواحى الشهيرة والتى وصلت إلى اتهام طوائف كثيرة فى المجتمع الفرنسى لهم أنهم لا يعتبرون فرنسيين من الأصل؟ سألت مخرج الفيلم رشيد بو شارب، هل أنت عربى أم أنت فرنسى؟ قال لى أنا فرنسى بقدر ما أنا عربى، أعيش فى وطن اسمه فرنسا وأشعر بالانتماء إليه، وأحب جذورى العربية وأفتخر بها.

ينتهى فيلم السكان الأصليون بمعركة أخيرة تقودها تلك الفرقة حتى يموتوا واحدًا تلو الآخر ولا يبقى منهم سوى (عبد القادر) على قيد الحياة. ثم يكتب على الشاشة أن المحاربين العرب الذين حاربوا فى صفوف الجيش الفرنسى فى الحرب العالمية الثانية حاولوا الحصول على حقوقهم المالية ولكن بلا جدوى، حتى استطاعوا أن يكسبوا قضية ضد الحكومة الفرنسية عام٢٠٠٢ حكمت لهم بحقوقهم. لكن ذلك الحكم لم تنفذه أبدًا أى حكومة فرنسية من الحكومات المتعاقبة. سألت سامى أبو عجيلة: "هل دفع هؤلاء العرب دماءهم هدرًا دفاعًا عن التراب الفرنسى؟ انفعل وقال "لا أعرف لكن المؤكد أنهم وقتما اختاروا القتال كانوا مقتنعين به؟" وأنهيت أسئلتى بسؤال لجمال ديبوز" متى سينصلح موقف المجتمع الفرنسى اتجاه العرب الذين يعيشون فيه ، وكيف ترى ما يحدث وأنت مذيع مشهور تحبه فرنسا بأكملها"؟ اندفع ديبوز هو الآخر قائلًا: "لا بد أن يتوقفوا عن كلمة"

انخرط " التى صدعونا بها، لن ننخرط فى المجتمع الفرنسى، فأنا مولود فى فرنسا وتربيت فيها، كيف أنخرط فى بلدى، أنا أعيش فيها، إننا نعانى من الجانبين، عندما نذهب لبلادنا الأصلية يسموننا مهاجرين وفى فرنسا أيضا، إننا مواطنون، مواطنون". قضية صعبة بالفعل قضية عرب فرنسا تلك، إنها أزمة الهوية فى أقصى صورها.

(خارج عن القانون) ٢٠١٠

للمخرج الفرنسى - الجزائرى رشيد بوشارب والذى شاركت فى إنتاجه عدة جهات جزائرية وفرنسية رسمية وأثار ضجة كبيرة من عدد من ممثلى اليمين الفرنسى الذين رأوه تشويها للتاريخ الفرنسى لأن الفيلم يحكى عن المذابح التى ارتكبتها فرنسا إبان استعمارها للجزائر خاصة مذبحة ستيف عام ١٩٤٥. يقدم الفيلم ثلاثة من الإخوة الذين عملوا فى الكفاح السرى لتحرير الجزائر، ولكن من داخل أراضى فرنسا ذاتها وليس من داخل الجزائر. وقدم الفيلم هذا الكفاح المتكرر والمضنى لهؤلاء الإخوة فى سبيل تحرير بلادهم وتحرير مواطنيهم من الاستعباد بل والصراعات التى قامت بباريس بين الأحزاب الجزائرية المختلفة واتهام (جبهة التحرير الوطنية) التى ينتمى إليها الأبطال لمنظمة أخرى هى (المينا) بالخيانة والتعاون مع المستعمر. ويظهر الفيلم قوة وبأس وإصرار الأبطال وبذلهم للغالى والرخيص فى سبيل وطنهم حتى من يعمل منهم بعالم الكباريهات ومقامرات الملاكمة. وهو موقف جدير بالتقدير لبوشارب شجاعته وجرأته فى تقديم الحقيقة. لم يوقفه كونه مواطنًا فرنسيًا أيضًا الآن أوكون أفلامه أغلبها ممول من فرنسا. وهو موقف يؤكد أن الهوية والضمير لا يتم مقايضتهما بأى ثمن وهو درس شديد القوة للكثير من السينمائيين الذى يخونون قضايا وطنهم مقابل إرضاء جهات التمويل.

الفصل الثانى

قضايا العرب المصيرية بأعينهم وإنتاج الغرب

"باب الشمس ": (٢٠٠٥) أسطورة البشر الحقيقيين

أصبح فيلم باب الشمس للمخرج يسرى نصر الله أحد أعظم الأعمال فى تاريخ السينما العربية. ليس فقط لأنه يقدم لأول مرة على الشاشة كيف ضاعت فلسطين من العرب عام ١٩٤٨ ولا لأنه يحلل الإنسان الفلسطينى الذى لا يتوقف عن المقاومة وحب الحياة، لكن لأنه يثبت أن الوطن يعيش فينا حتى ولو لم نعد نحن نعيش فيه. وأنه من أعظم هبات الله للإنسان على الأرض أن يكون له وطن. لكن المحزن حقًا أن جنسية إنتاجه فرنسية رغم أن العاملين به أغلبهم من العرب. وعومل الفيلم أثناء عرضه فى الصالات بمصر باعتباره فيلمًا أجنبيًا بل والمحزن والمخجل أيضا هو انصراف الجمهور عنه .

" باب الشمس " فيلم كبير مدته أربع ساعات ونصف " منقسم لجزأين يحمل الأول اسم "الرحيل" والثانى اسم "العودة" أغلب ممثليه من سورياولبنان وفلسطين وأغلب فنييه من مصر والجانب الأكبر من الإنتاج فرنسى (قناه ارتيه) ومغربى، بمساهمة قنوات تليفزيونية

أوروبية أخرى. وقد تجاوز الفيلم فى قوة تعبيره كل الأفلام الأخرى المهمة التى صنعت عن فلسطين سواء من مخرجين فلسطينيين كفيلم "صورة من الذاكرة الخصبة" لميشيل خليفى "ويد الهية " لإيليا سليمان. أو من مخرجين عالميين مثل "حنا . ك" للفرنسى كوستا جافراس والسبب أن "باب الشمس" (وتحديداً الجزء الأول منه المسمى الرحيل) به صفاء فى الأسلوب يشبه صفاء الموسيقى وصور بصرية تقترب من روح الشعر .

الجزء الأول يحكى قصة سقوط الوطن من خلال قصة حب. وعلى قدر ما يشتعل الحب تشتعل الأحداث السياسية بإطراد " يونس ونهيلة "هما بطلا قصة الحب؛ حيث يبدأ الفيلم بزواجهما رغم أنهما فى سن المراهقة. ورغم أن يونس منخرط فى صفوف المقاومة ضد الاحتلال الإنجليزى لكن عندما تبدأ علاقته الحميمة بزوجته يكتشف معنى آخر للحياة. وعندما يبدأ اليهود فى طرد الفلسطينيين من قراهم يمثل لنا الفيلم ذلك بطرد أسرة يونس من الخليل مع القرية بأكملها. يستمر يونس فى المقاومة ولا يعود لكنه يلتحق هو والفدائيون زملاؤه بسرية صغيرة لجيش عربى جاءت لإنقاذ فلسطين، ثم يلتحق بأسرته التى ذهبت إلى قرية" شعب" (أول مخيم فلسطينى فى التاريخ). ثم يستمر اليهود فى طردهم خارج حدود فلسطين إلى قانا، ثم إلى بيروت ويعود أحياناً إلى أسرته فى قرية دار الأسد بفلسطين، ولكن يظل دائما بالمقاومة على الحدود. لا يعود إلا لساعات قليلة لزوجته يقضى معها أحلى ساعات الحب فى مغارة " باب الشمس " التى تشبه الجنة. ينجب منها الأطفال ويتغذى على رحيق الحب ليبدأ المقاومة من جديد. "يونس" هو نموذج الإنسان الفلسطينى على مر العصور لا يتوقف عن المقاومة فى لحظة ولا ييأس من قضيته أبداً. سواء عند طرد اليهود

لهم أول مرة أو عند الاجتياح الاسرائيلى لبيروت. إنه مقاوم بالفطرة يبدأ دائمًا من جديد وهو عاشق يحب امرأته بكل جوارحه والعاشق بداخله هو الذى يصنع الفدائى أما زوجته نهيلة فهى الأخرى معبرة عن المرأة الفلسطينية العظيمة. من أول لحظة وهى تلح على زوجها لكى تتعلم بل وتريد أيضا أن تتعلم لغة اليهود بل وتتعامل معهم بالبيع والشراء عندما يحتلون فلسطين فى مقابل أن تعيش أسرتها، ثم تتمسك ببيتها فى دار الاسد. بل وتذهب إلى حد أن تقول عن نفسها إنها عاهرة لكى تدارى أن حملها المتكررهو من زوجها الذى يزورها سرًا فى مغارة باب الشمس. وباب الشمس هى الصورة الشعرية الكبرى للفيلم. إنها ذات الإنسان الفلسطينى. بشر يعيشون داخل جدران مظلمة لكنهم يقاومون ويشقون الحياة من وسط العتمة. ورغم الظلمة لا يتنازلون عن تخصيب الأرض وجعلها خضراء .

يجسد الفيلم إقامة أول مستوطنات إسرائيلية عام ١٩٤٨ فى وسط الأراضى الفلسطينية لكى تمتد الخيوط فيما بينها وتستولى على الأرض كلها. ويقدم مشاهد بالغة التاثير للقسوة الصهيونية فى تهجير الفلسطينيين من أراضيهم وقتلهم فى مقابر جماعية وعدم احترام حقوقهم كأسرى كاغتصابهم وحرمانهم من الطعام بل وسرقة ملابسهم. كل ذلك فى بناء درامى شديد الإحكام ينتقل بنعومة بين قصة الحب وقصة ضياع الوطن. وتجلت عبقرية مدير التصوير سمير بهزان فى استخدام مرشحات ضوئية ودرجة كثافة لونية تحافظ على أسلوب بصرى ولونى واحد طوال الفيلم بشكل يترجم قسوة الأحداث ودفء القلوب معًا.

أما تامر مروان مؤلف الموسيقى فقد أثبت مقولة "إذا كان للفيلم جسد فالموسيقى روحه". فقد مازج بين الإيقاعات الشرقية للتعبير عن

روح المكان ونغمة البيانو للتعليق الوجدانى على الأحداث. "وباب الشمس" المأخوذ عن رواية اللبنانى إلياس خورى الذى شارك فى كتابة السيناريو أيضا مع المخرج ومحمد سويد من الأعمال النادرة التى يطلق عليها "السهل الممتنع"، فالفيلم بسيط بساطة قصة الحب التى يحكيها وعميق وملىء بالمستويات إذا ما تبحرت فى دلالاته. والسبب هو تطور أسلوب يسرى نصر الله كمخرج بشكل رائع. فهو هنا يتخلص من عيوب الاستطراد البصرى والفكرى التى تحفل بها أفلامه خاصة "سرقات صيفية" و "مرسيدس" ويترك للحتمية القصصية والجمالية دورهما فى أن يصبح الفيلم فى منتهى الجزالة والتكثيف، لهذا يعد الجزء الأول من الفيلم درسًا بليغًا فى التكامل بين الشكل والمضمون. إن أهمية الفيلم الكبرى ليست فقط فى الحقائق التى يؤكدها لكن فى تأكيده أن الأسطورة الحقيقية هى التى يصنعها البشرالحقيقيون وليس المتخيلون.. وإنه فى زمن اللا انتماء يصبح فهم معنى الوطن والانتصار لحب الوطن هو القيمة الكبرى .

" الكيلومتر صفر " (٢٠٠٦)

للمخرج الكردى هاينر سالم يعد منشور دعائى مباشر ينادى باستقلال الأكراد وبدون أى معالجة فنية متميزة. والفيلم يتحدث عن شاب كردى يتم إرساله بدون إرادته للالتحاق بالجيش العراقى أثناء الحرب مع إيران عام ١٩٨٨، وظل المخرج طوال الفيلم يكرر ويكرر كم يكره، العراقيون أشقاءهم الأكراد. والكراهية تأتى من السلطة والشعب معًا. ثم يقدم معلومات جافة كأنها خطبة عن على حسن الكيميائى ابن عم صدام والمكلف منه بضرب الأكراد بالأسلحة الكيماوية والتى نتج عنها قتل ١٨٢ألف كردى أغلبهم من قرية حلابجة الكردية. وبالطبع كلها معلومات حقيقية عن المآسى التى تعرض لها الأكراد وقت حكم

صدام. وتتكرر جملة على لسن البطل:" نحن ماضينا حزين وحاضرنا تراجيدى وليس لنا مستقبل ". بل يكرر " الموت فى سبيل كردستان أفضل من الموت فى سبيل العراق". ويتبنى المخرج ضرورة تدخل القوى الغربية لإنقاذ الأكراد، بل ويحلم أبطال الفيلم الأكراد أنفسهم بالهجرة طوال الوقت إلى أوروبا تحديدًا. وهو ماحدث للبطل فى النهاية حيث هاجر لفرنسا (تمامًا كحال مخرج الفيلم نفسه). وعندما يسمع بطل الفيلم فى الإذاعة أن بغداد سقطت يصرخ هو وزوجته تحررنا تحررنا وكان سقوط بغداد وليس سقوط صدام هو الذى يحررهم . ونظرية التحرير تلك هى التى يتبناها المخرج أيضا حيث يرى ضرورة أن تكون للأكراد دولة مستقلة باعتبار أن ٢٠ مليونًا منهم بتركيا و٩ ملايين بإيران و٢ مليون بسوريا و ٦ ملايين بالعراق. بل وإن المخرج فى سبيل ذلك كتب على تترات فيلمه أنه إنتاج كردى فرنسى مشترك شاركت فى تمويله الحكومة الكردية المحلية بالعراق. وكأن الأكراد استقلوا بدولتهم بالفعل. المضحك أن المخرج يقول ما يقوله فى الوقت الذى يترأس فيه العراق بأكمله فى الوقت ذاته رجل كردى. بل وتصل الكراهية التى يبدو أن المخرج يكنها للعراق والعراقيين أن يدعى فى المؤتمر الصحفى لعرض الفيلم بمهرجان كان السينمائى بأن العراق لم ينتج أكثر من خمسة أفلام طوال تاريخه. وأن كل العراقيين العرب يكرهون الأكراد بل ويدعى بأنه لم يصنع فيلمًا سياسيًا وأن كل الذى ظهر بالفيلم لا يعبر إلا عن قدر ضئيل من الغضب الذى يشعر به. بل ويضيف المخرج بأن الكيلومتر صفر يعنى أن العراق لم يتطور إلى الأمام خطوة واحدة منذ ٨٠ عامًا. ولكن الكيلومترصفر يعنى داخل الفيلم أنه المكان الذى لا ينتمى إلى بلد بل إنه بلد فى حد ذاته. وليست مشكلة الفيلم فقط أنه يروج للانفصال والانقسامية فى العراق. لكن المشكلة فى أنه يشوه

الحقائق ويبالغ فيها. ورغم الإقرار بالأهوال التى تعرض لها الأكراد فى العراق لكن ليس لدرجة القول إن شعب العراق بأكمله يكرههم.

سكر بنات أو كراميل (٢٠٠٧)

ما الذى يختبئ وراء الفتنة الطاغية ؟ ماذا تخبئ المساحيق الملونة فى وجوه النساء؟ هل تمنع الرموش الصناعية انفجار شلال من الدموع ؟ وهل تخبئ الصيحات الساخرة آلام كامنة فى العقل؟ وهل وجه المرأة الآن بعد أن امتلأ فى هذا العصر بمساحيق التجميل، هل هو مخبأ عظيم للقلق والأرق؟ كل تلك الأسئلة طرحتها مخرجة الفيديو كليب المعروفة نادين لبكى فى أول أفلامها الطويلة "سكر بنات" أو كراميل الذى عُرض فى مهرجان كان السينمائى أكبر مهرجانات السينما فى العالم عام ٢٠٠٧ وجذب الكثيرين وحقق نجاحًا ملحوظًا. وفكرة الفيلم تدور فى أحد صالونات التجميل (أكبر من مجرد كوافير) حيث نرى ليال (تلعب دورها نادين نفسها فى إطلالة واثقة ومليئة بالموهبة) ونسرين التى تلعب دورها ياسمين الحصرى (المصرية الأصل من والدتها المتزوجة من فلسطينى) وأخريات. تعيش ليال فى قلق وحيرة؛ لأنها فى علاقة مع رجل متزوج تارة يملأ حياتها بالمقابلات الساخنة المسروقة فى سيارته تحت الكبارى وفى الأماكن المهجورة وتارة يختفى لانشغاله ولا يرد على هاتفه المحمول، فتحترق هى لوعة وقلقًا، وتتعطل حياتها تمامًا. أما نسرين فهى تعيش سعيدة بأيام خطبتها لشاب أنيق ووسيم، لا تحدد المخرجة موقفها منه، فهو يتشاجر مع أحد رجال الأمن الذى يطلب منه أوراقه، فتظهر لنا المخرجة أن نسرين لم تعد تحتمل خطيبها. ثم نذهب مع نسرين لأسرتها حيث نرى أغلب من فى المنزل من المحجبات و أمها أيضا. تعطى الأم لابنتها نصائح كيف تكون زوجة صالحة، ويبدو أن نسرين صغيرة ومستسلمة لنصائح والدتها.

وبعد قليل تعترف نسرين لصديقاتها أنها ليست عذراء، فيصبح همهن جميعًا هو البحث عن طبيب لإجراء عملية إعادة غشاء البكارة لها، وتتردد نسرين لكن ليال تشجعها. ليال نفسها أخذت تبحث عن فندق وراء الآخر لاستئجار غرفة تقضى فيها مع خطيبها ليلة عيد ميلاده، ترفض كل الفنادق لأنها لا تحمل أوراق تثبت أنهما زوجان إلا فندق واحدًا يوافق. وتفاجئنا المخرجة بأن الرجل الموجود بالريسبشن الذى وافق لها بشغل الغرفة يتحدث اللهجة المصرية ويبدو أقرب لمظهر القوادين التقليدى ولا نعرف لماذا اختارت أن يكون هذا الرجل مصريًا رغم أن الأحداث تدور ببيروت. إن الاختيار هنا له قصة، فإذا كان الرجل الذى وافق لها على صعود الغرفة فرنسيًا أو حتى أى جنسية أخرى لكان لذلك معنى! لا يأتى عشيق ليال إلى السهرة المنتظرة. ثم نعرج على قصة فتاة ثالثة بالصالون، هذه المرة تلك الفتاة لها ميول سحاقية اتجاه الفتيات ويتعلق قلبها تحديدًا بسيدة جميلة ذات شعر أسود خلاب تأتى للصالون. تحاول ريما (اسم تلك الفتاة) إقناع الجميلة بقص شعرها الأسود فترفض، أما نسرين فتقوم بإجراء عملية إعادة العذرية. فيما ننشغل نحن المتفرجين بقصة سيدة رابعة وهى "جمال": سيدة تشعر بالقلق والضجر لانصراف زوجها عنها بعشيقته الصغيرة وتعانى هى من انقطاع الدورة الشهرية عنها فتقوم بتلطيخ ملابسها دائما بقطرات دماء دلالة على أنها ما زالت فى سن الشباب، أما الخامسة فهى (روز) سيدة تجاوزت قطار الزواج، وتحاول الاستجابة لمشاعر رجل فرنسى يريد الاقتراب منها، لكنها تهرب من موعد لقائها معه؛ لأنها أصبحت تخاف من مشاعر الحب بالإضافة إنها لا تريد أن تنشغل عن أختها الكبرى السيدة العجوز المخبولة. لم تقل لنا نادين لبكى(وهى كاتبة السيناريو مع آخرين) أى أسباب تبرر لنا حياة هؤلاء السيدات؟ فلا نعرف لماذا تحب ليال رجلًا متزوجًا؟ هل لأن

شخصًا آخر هجرها، أو لأن هذا الرجل يحبها بقوة مثلا، لا نعرف؟ كل ما نعرفه أن كل ما بينهما هو علاقة ساخنة، ولانعرف أيضا لماذا فقدت الفتاة نسرين عذريتها؟ هل لأنها أحبت شخصًا وسلمت له نفسها مثلا ؟ أم أن ذلك شيء طبيعى أن يحدث؟ وهل الفتاة السحاقية تميل للفتيات لسبب فى تركيبتها النفسية؟ لا يظهر أى شيء يبرر ذلك، نادين تقدم لنا كل ذلك باعتباره شيئًا عاديًا وارد الحدوث. وهذا منطق سينمائى شديد الاستسهال لا يليق بمخرجة لديها فهم للطبيعة الإنسانية. وهناك فرق بين تفهم الشخصيات وتقبلها وهو المتوفر لدى لبكى وبين إظهار دوافع الشخصيات للمتفرج وهو الغائب عن الفيلم. والحق أن اهتمام الجمهور بالفيلم فى مهرجان كان مصدره الصورة البراقة الملونة المبهرجة التى قدمتها لنا المخرجة، والتى كانت قد نجحت فيها من قبل فى عالم الفيديو كليب وكانت سببًا فى إطلاق نانسى عجرم للشهرة. طبيعى أن يهتم الغرب بقصص نساء فى معاناة منهن من تعانى من انقطاع الطمث أو تريد إعادة غشاء البكارة بعملية. لكن هذا لا يغير أن الفيلم أقرب إلى ندوة جمعية نسائية تنادى بالحقوق المهضومة للمرأة وضرورة أن تنال حريتها بأى ثمن.

أما عنوان الفيلم " كراميل" فالمقصود به العجينة التى تستخدمها النساء لنزع الشعر الزائد، وقد قدمت المخرجة الكثير من المشاهد أثناء صنع ذلك. بل إن هناك شرطيًا معجبًا بـ "ليال" تدعوه صديقتها وتقوم بعمل كراميل له. وهناك زوجة عشيقها تزور الصالون فجأة فتقوم ليال بالانتقام منها بنزع الشعر منها بقسوة عن طريق هذا الكراميل، هذا هو المجاز الرئيسى للفيلم . فهل تنظر لبكى للحياة وللعلاقات النسائية من زاوية الكراميل!

رجل ضائع (٢٠٠٧)

من لبنان جاء فيلم آخر لمخرجة أيضا هى دانييل عربيد. لكنا قررت أن تعلن أنها لا تنتمى إلى السينما العربية ولا تريد أن يضعها أحد فى خانة المخرجة العربية. بل وأضافت أن لا تريد لفيلمها أن يعرض فى لبنان أو العالم العربى، لماذا ؟ لأن "رجل صائغ" وهو اسم الفيلم امتلأ بمشاهد جنس صريحة غير مبررة دراميًا. فقصته التى لم يعثر لها أحد على معنى تدور حول فوتوغرافى فرنسى مهووس بالتصوير وموجود فى عمان بالأردن مختبئًا وراء الأسوار لاختلاس لحظة ساخنة لتصويرها ثم يفاجأ بأنه يتابع رجلا مذهولا باستمراريلعب دوره الممثل الإنجليزى السودانى الأصل إكسندر صديق. والذى شارك من قبل فى بطولة الفيلم العالمى مملكة الجنة. والحقيقة أننا لا نعرف سببًا لذهول هذا الرجل. ثم يعرض الفرنسى على الرجل المذهول مصاحبته فى رحلاته كمترجم ومرافق مقابل مبلغ صغير من المال، ثم يمضى الفرنسى إلى البارات لاصطياد الفتيات واصطحابهن معه إلى غرفته بالفندق. ثم يبدأ فى مطارحتهن الغرام ويقوم بتصويرهن وهو يمارس ذلك! وتظهر بالفيلم صديقة دائمة له يمارس معها الجنس أيضًا ونكتشف أنها فتاة مغربية مقيمة بفرنسا قاطعها أهلها الحقيقيون فى الواقع؛ لأنها قامت بتمثيل أفلام بورنو فى فرنسا. ثم يجلب الفرنسى فتيات للرجل المذهول ويقوم بتصويره أثناء ممارسة الجنس أيضًا. يهرب منه ذلك الرجل فيحاول الفرنسى أن يعثر عليه فيعرف أنه من لبنان. فيتابعه إلى هناك. وهناك يعثر على زوجته ويطارحها الغرام هى الأخرى ثم يخبرها أنه يبحث عن زوجها! ويستمر هذا العبث حتى نهاية الفيلم بدون أن تبرر لنا المخرجة أفعال أبطالها. لم يستطع فيلم دانييل عربيد تحقيق أى نجاح، بل ذبحته الكثير من الأقلام العربية قبل الأوروبية.

الباب الرابع

عرب هوليوود

عرب أمريكا اخترقوا هوليوود وحصدوا الأوسكار

لم أتصور فى رحلة اكتشافى لمدينة السحر والخيال "هوليوود" أثناء الدراسة بجامعة جنوب كاليفورنيا عام ٢٠٠٥ أن أكتشف أن عددًا غير قليل من الأمريكيين من أصل عربى استطاعوا تحقيق نجاحٍ كبيرٍ فى عالم السينما والتليفزيون هناك ، بل وحصل خمسة منهم على جوائز الأوسكار فى مجالات متعددة .

يأتى على رأس هؤلاء مهندس الديكور إميل خورى (توفى عام ٢٠٠٠) فقد شارك فى ١٣٧ فيلمًا، وحصل على الأوسكار مرتين عن فيلمى "٢٠٠ ألف فرسخ تحت الماء" و "الوريثة". و هناك أيضا كاتبة السيناريو كالى خورى التى حصلت على نفس الجائزة عن فيلم" تيلما ولويز " وكانت أول امرأة تحصل على أوسكار أحسن سيناريو مكتوب للشاشة. وهناك الممثل موراى إبراهام صاحب أوسكار أحسن ممثل مساعد عن دوره فى أماديوس وكلهم من اللبنانيين .

ومن أصول مصرية هناك فؤاد سعيد الذى فاز بأوسكار تقنى عن اختياره لابتكار سينى موبيل ، فضلا عن المغنى والمطرب والملحن بول جبارا الذى سمعنا أغانيه فى أفلام مثل ملائكة شارلى ومفكرة بريد جيت جونز، وحصل على الأوسكار عن أغنيته في فيلم الرقصة الأخيرة. وبعيداً عن الأوسكار نجد توم شادياك المخرج المفضل لأفلام

جيم كارى من أصل لبنانى. أيضا وإذا كنت شاهدت فيلم الفطيرة الأمريكية بجزأيه فإن دور نادية للأمريكية اللبنانية شانون اليزابيث فضل .

وإذا كانت سلمى حايك وشاكيرا هما الأكثر شهرة بين النجوم من أصل عربى فإن منتج أفلام أرنولد شوارزينجر وسيلفسترستالونى فى أفلام مثل المدمر وروكى ورامبو، هو ماريو كسار الذى قضى سنوات شبابه الأولى فى بيروت. وهناك أيضا اللبنانى إيلى سماحة ومن أشهر أفلامه التى أنتجها الخطوات التسع الكاملة. وهناك المنتج رونالد شويرى الذى نفذ إنتاج أفلام عظيمة مثل توتسى. ولا ننسى دان هدايا الذى مثل فى أفلام لمخرجين كبار مثل نيكسون لأليفر ستون وطريق مولهولاند لدافيد لينش. وهناك المصرى سيدبدرية الذى يعد أشهر من أدى دور الإرهابى فى هوليوود ومن أشهر أفلامه (دبليو) لأوليفر ستون و(الرجل الحديد) وأيرون مان.

وفى التليفزيون يعتبر المخرج المصرى الأمريكى أسعد قلادة من أشهر المخرجين . والقائمة طويلة وممتدة .

أحمد أحمد ممثل أمريكى صاعد من أصل مصرى

لم يضحك الأمريكيون على ما تعرض له العرب من اضطهاد ومضايقات بعد أحداث ١١ سبتمبر بقدر ما ضحكوا على كلمات الممثل الصاعد أحمد أحمد ، الذى حقق نجاحًا كبيرًا فى جولته الكوميدية المسماة " جولة محور الشر الكوميدية " التى يشاركه فيها بالتمثيل الأمريكيان من أصل إيرانى (مازجويرانى) ومن أصل فلسطينى (هارون قادر).

تلك الجولة التى بدأت فى مدينة لوس أنجلوس الأمريكية وانتهت بمدينة لاس فيجاس بعد أن زرت أغلب الولايات الأمريكية الكبرى من بوسطن لشيكاجو، ومن دالاس لسياتل. وقد أصبحت هذه الجولة مثار اهتمام وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى لنقدها الحاد لموقف الأمريكيين من عرب أمريكا اليوم، بل ونقدها العرب هناك ذاتهم بسلوكياتهم التى تثير عليهم الكثير من الهجوم. ورغم أن هذه الجولة تنتمى إلى فن الاستاند أب كوميدى (وهو عبارة عن اسكتشات ومواقف يلقيها ممثلون كوميديون تقع بين التمثيل والمونولج والمسامرات) إلا أنها قوبلت بكل الاهتمام من الأوساط الفنية الأمريكية باعتبارها عملاً فنيًا أصيلاً. واكثر ما جذب الانتباه فى هذه الجولة هو أحمد أحمد الذى ولد فى ضاحية حلوان القريبة من القاهرة عام ١٩٧٠

وهاجر مع أسرته بعد عام واحد من ولادته إلى ريفرسايد بكاليفورنيا حتى انتقل للحياة فى هوليوود فى سن التاسعة عشرة والتحق بالأكاديمية الأمريكية لفنون الدراما فضلا عن تدريبه على أيدى مدرسى التمثيل الكبار أيفانا شوبوط وساندرا مارشال، وظل يحاول العثور على فرصة طوال هذه السنوات. وأدى أدوارًا صغيرة فى أفلام أمريكية مستقلة مثل (القرار النهائى) حتى جاءت أحداث ١١ سبتمبر لتمثل فرصة ذهبية له فاستغلها فى عدة عروض تتحدث عن اضطهاد العرب والمسلمين هناك. واتجهت إليه الأنظار بقوة عندما قام ببطولة عرض كوميدى مع اليهودى رابى بوب منذ أربع سنوات ليشكلا ثنائيًا ناجحًا تتخاطف أمريكا عروضه يومًا بعد آخر.كل ذلك جعل أعين هوليوود تتجه نحو أحمد أحمد فطلب منه أشتون كوتشر مشاركته فى برنامجه للمقالب " بانكر" الذى يقوم فيه بعمل مقالب فى نجوم هوليوود. ثم طلبت منه شركة فوكس المشاركة فى فيلمها " بصل". ثم قرر المخرج إيتان ديتينماير إعطاء أحمد أحمد فرصة عمره للمشاركة فى فيلم بعنوان " صحى الفارس". ويقدم أحمد أحمد - أيضا - عروضًا دورية بأحد مسارح هوليوود المسماة "أشهر محل للكوميديا فى العالم". ترى هل تمنح هوليوود فرصة الصعود الكامل لممثل مصرى وعربى اسمه أحمد أحمد؟ وهل ستشفع الموهبة وحدها فى أوساط بيزنس لا يعرف الرحمة و تصيغه إلى حد كبير الأهواء والتعاطف العرقى مع أو ضد؟

عرب فى السينما العالمية .. ماذا فعلوا لصورتهم؟

لا يقتصر وجود العرب فى أفلام هوليوود الكبرى وحدها لكنهم موجودون أيضا فى السينما العالمية الأمريكية غير الهوليوودية والأوروبية بفروعها. فهناك المخرج السويدى من أصل لبنانى جوزيف فارس وهناك أحد عشر فنانًا آخرين غيره منهم ستة ممثلين وثلاثة مخرجين ومنتج واحد.

الممثلون منهم ثلاثة أصولهم المغرب العربى رغم أنهم ولدوا جميعًا فى فرنسا فى ستينيات القرن الماضى وعملوا جميعًا فى السينما الفرنسية فقط وهم رشدى زيم " واسمه العربى الأصلى رشدى زعيم (مثل ب٦١ فيلمًا) وسامى ناصر(مثل ب ٣٨ فيلمًا) وسامى بوعجيلة (٣٥ فيلمًا). وهؤلاء حصلوا مجتمعين على جائزة أحسن ممثل مشاركة فى مهرجان كان السينمائى عن فيلم بلديون أو السكان الأصليون الذى كان من أحداث العالم السينمائية فى عام ٢٠٠٦، لاستطاعته عمل حراك اجتماعى ضخم لقضية مدى الانتماء الفرنسى لذوى الأصول العربية الذين يعيشون هناك. وهى القضية التى تعد من قضايا فرنسا الكبرى اليوم.وقد دخل هذا الفيلم السابق تحليله فى هذا الكتاب أكثر من ٢ مليون ونصف متفرج فى فرنسا وحدها فى سابقة هى الأولى من نوعها أن يحصل فيلم متصل بالعرب على كل هذا الإقبال.

الثلاثة ممثلون الآخرون الذين يمكن اعتبارهم عالميين هم السورى غسان مسعود الذى شارك فى بطولة الفيلم الأمريكى" مملكة الجنة" لريدلى سكوت والتركى"وادى الذئاب" والمصريان عمرو واكد الذى شارك فى بطولة أكثر من فيلم عالمى أشهرها سيريانا بطولة جورج كلونى وأهمها الإيطالى ألاب والغريب. وجميل راتب الذى شارك فى أكثر من ٣٠ فيلمًا فرنسيًا وعالميًا أشهرها لورنس العرب لدافيد لين وآخرها الفيلم الفرنسى "ستاند باى". أما المخرجون من أصول عربية الذين يعملون فى أعمال عالمية هم المخرجة "روباندا" التى ولدت فى سوريا وتربت فى كندا ونشرت العديد من القصص القصيرة ثم أخرجت ما يقرب من ٢٠ فيلمًا قصيرًا قبل أن تقدم فيلمها الروائى الأول " صباح" الذى حقق نجاحًا كبيرًا. الفيلم قصة سيدة سورية الأصل تعيش فى كندا فى ظل أسرة متمسكة بالتقاليد، ثم تقع فى الحب مع رجل كندى أبيض وتخبئ عن أسرتها العلاقة وتظل فى صراع الهوية لا تعرف راحة. المخرج الثانى هو" على سليم" الذى ولد فى أمريكا واشتهر باعتباره من أنجح مخرجى الإعلانات حتى صنع فيلمه الأول عام ١٩٩١ بعنوان "إمبراطورية الهواء"، والثانى العام الماضى "الأرض الحلوة" وكلاهما عن موضوعات أمريكية خالصة. وثالث المخرجين هو رشيد بن حاج الجزائرى المقيم بإيطاليا الذى يصنع تارة أفلامًا عن موضوعات عربية كفيلمه الأخير " الخبز الحافى" عن رواية الأديب المغربى الكبير محمد شكرى وتارة أفلامًا إيطالية كفيلمه "ميركا" الذى شارك فى بطولته فاينسا ريد جريف.

أما المنتج الوحيد المصنف عالميًا فهو مالك العقاد ابن الراحل مصطفى العقاد الذى أنتج مع والده سلسلة أفلام هالوين الشهيرة للرعب. والسؤال الحقيقى هو" هل يحاول أى من هؤلاء القيام بأى جهد حقيقى لتغيير صورة العرب فى السينما العالمية؟

الباب الخامس

أزمة الإسلام عند الغرب

كلمة الإسلام تتصدر عنوانين لفيلمين أمريكيين

مسلم إسلامى . إسلام .. كلمات تثير الغموض والتوجس فى نفوس أغلب الأمريكيين اليوم .. بل وتستطيع القول أن هناك حذرًا مبالغًا فيه من استخدامها سينمائيًا أو إعلاميًا بعد أحداث ١١ سبتمبر .. فيلمان جديدان استطاعا كسر هذا الحظر هما البحث عن الكوميديا فى العالم الإسلامى وعندما تكون مسلمًا لمدة شهر .

البحث عن الكوميديا فى العالم الإسلامى (٢٠٠٥)

فيلم روائى قام ببطولته وتأليفه وإخراجه ممثل أمريكى متوسط النجاح والموهبة هو ألبرت بروكس وكان الفيلم حديث الصحف عندما رفضت شركة سونى الشهيرة أن تقوم بتوزيعه بسبب عنوانه واشترطت لموافقتها كما قال المخرج أن تحذف كلمة إسلام من العنوان. وهاجم بروكس الشركة قائلا إنها تنتج أفلامًا بها سخرية من الجنسيات الأخرى وآخرها دوث بيجالوا زير النساء الأوروبى على عكس فيلمه الذى ليس به أى سخرية من المسلمين. والفيلم يحكى قصة ممثل أمريكى يستدعيه البيت الأبيض ويطلب منه أن يذهب إلى الهند وباكستان لكتابة تقرير مطول عما يضحك المسلمين. ويقول له مسئول الإدارة الأمريكية إن الرئيس يؤمن بأن أفضل طريقة لفهم شعب هى فهم ما يضحكه. ويذهب بروكس إلى نيودلهى بصحبة اثنين من العملاء

الحكوميين لمساعدته ويعرض الفيلم مجموعة من المواقف المفتعلة والمبالغ فيها أساسها أن الممثل الأمريكى يحاول إضحاكهم ولا أحد يضحك عليه. ومنها ذهابه لمقابلة عدد من الكوميديين الباكستانيين فى اجتماع سرى. (لا نعرف لماذا) أو مقابلته مسئولين من قناة الجزيرة. قالت شركة سونى لاحقًا إنها لم تقبل الفيلم لأنه غير مضحك لكن بروكس سيّس القضية. الحق أن البحث عن الكوميديا فى العالم الإسلامى هوعمل سطحى بكل المقاييس. يستخدم كلمة الإسلام للفت الأنظار، ولجذب الجماهير أكثر بدون أن يتطرق لأحوال للمسلمين أو لعلاقاتهم بالكوميديا أو البحث عمن هم أصلا.

"عندما تكون مسلماً لمدة شهر" (٢٠٠٥)

فهو فيلم تسجيلى عميق وجاد إلى أبعد الحدود. فهو يجعل مواطنًا أمريكيًا عاديًا من ولاية غرب فريجينيا يعيش مع أسرة باكستانية مسلمة لمدة شهر.

يسأل المخرج بطله فى البداية. ماذا تعنى لك كلمة مسلم ؟ فيرد تعنى لى رجل يمسك بمدفع رشاش ويحارب آخرين. ويعلق راوى الفيلم:هكذا يرى الأمر الكثير من الأمريكيين العاديين. ويقدم المخرج بطله الأمريكى باعتباره مسيحيًا متدينًا ذلك يوافق على أن يعيش مع الأسرة كمسلم ملتزم. تعلمه الأسرة الصلاة وقراءة القرآن ويمارس الرجل هذا بمنتهى الجدية محاولا فهم الثقافة الجديدة عليه. ورغم أن رب العائلة المسلمة لا يرتدى الملابس الباكستانية فإن الرجل الأمريكى يفعل ذلك. فيتم توقيفه من الشرطة فى إشارة واضحة إلى المضايقات التى يتعر ض لها المسلمون فى أمريكا إذا ظهروا بمظهر إسلامى. يعترف الأمريكى بأن الكثير مما تعلم خلال الشهر موجود فى ديانته المسيحية ويعترف أيضا بأنه استمتع بفهم الإسلام.

ويعلق الفيلم بأن على المسلمين الكثير من الجهد لتصحيح صورتهم فى أمريكا وعلى السبعة ملايين امريكى مسلم أن يجعلوا الـ٢٧٠ مليون أمريكى أن يفهموهم. لكن هل الأمريكيون مثل بطل الفيلم لديهم رغبة حقيقية فى اكتشاف الإسلام؟ هذا ما لم يجب عنه الفيلم.

أفلام عالمية عن الإسلام ونبيه

قال أرسطو ذات مرة إن التفكير مستحيل بدون صور، فنحن نعيش فى حضارة الصورة كما قال العالم الفرنسى "رولان بارت"، فهناك حضور جارف للصورة فى حياة الإنسان الحديث حسب وصف د. شاكر عبد الحميد فى كتابه "عصر الصورة" فبدون شاشات التليفزيون والكمبيوتر والتليفون المحمول وبدون الإعلانات وصور الوسائل التعليمية وغيرها. لا يستطيع إنسان اليوم الحياة .

بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ظهرت مجموعة من الأفلام التى تناولت سيرة النبى محمد ﷺ أو رسالته. أولها فيلم الرسوم المتحركة الأمريكى "محمد خاتم الأنبياء" الذى أخرجه عام ٢٠٠٤ الأمريكى ريتشارد ريتش وأثار الفيلم احتجاجات كثيرة للاختلاف على معالجته تارة ولبعض الأخطاء الدينية فيه تارة أخرى وفشل الفيلم لأنه من تصدى له من ليس هو أهل لذلك.

أما الفيلم الثانى فهوالفيلم التسجيلى الرائع " محمد تراث نبى " الذى أخرجه عام ٢٠٠٢ المخرج الفلسطينى المقيم بلندن عمر القطان بمشاركة الأمريكى مايكل شوارتز واستخدم الفيلم أخيرًا بواسطة مؤسسات إسلامية عدة منها مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكى وذلك للتعريف برسول الله فى إطار حملة الرد على الرسوم

الدانماركية المسيئة وقد لاقى الفيلم نجاحًا بالغًا عند عرضه بقناة بى. بى. إس الأمريكية لأنه خاطب الأمريكيين بسلاسة واستخدم أسلوبًا مبسطًا للوصول إليهم ورد على كل تحفظاتهم عن الإسلام مثل وضع المرأة وحقيقة التسامح الدينى. ومما جعلهم يتواصلون مع الفيلم أكثر ظهور عدة خبراء غربيين متخصصين فى شئون الإسلام منهم كارين ارمسترونج مؤلفة كتاب " محمد" فضلا عن أمريكيين تحولوا للإسلام مثل الداعية الشيخ حمزة يوسف .

لكن يظل أهم الأفلام قديمًا هو فيلم الرسالة (إنتاج ١٩٧٦) للمخرج السورى الراحل مصطفى العقاد الذى لاقى الأمرين فى سبيل خروج الفيلم للنور بدءًا من قرار إنهاء التصوير بالمغرب فجأة حتى اختطاف بعض المسلمين السود فى أمريكا لعدد من الرهائن بعد أن وصلتهم إشاعة أن الفيلم يجسد شخصية سيدنا محمد صراحة، ثم حدث أن منعت جهات عديدة عربية الفيلم بعد ذلك رغم نبل رسالة الفيلم ودقة النص.

وقد يقول البعض إن التحريم الشرعى لظهور الأنبياء والصحابة على الشاشة قد يحول دون تقديم سيرة الرسول أو تاريخ الإسلام بالسينما لكن ذلك له أكثر من رد. أولها، أن عشرات المسلسلات التليفزيونية تنتج يوميًا وكلها تجد طرقًا للتعبير بعيدًا عن تجسيد تلك الشخصيات المقدسة تجسيدًا صريحًا فى هيئة شخوص ظاهرة. وثانيها - أن تكنولوجيا الصورة وتطور وعى المتفرج الآن يسمحان باستخدام رموز ضوئية وتشكيلية بسيطة تتيح الإشارة للأنبياء بدون ظهورهم الجسدى. وثالثها - أن السينما المصرية استطاعت قديمًا النجاح فى ذلك باستخدام نفس الإيحاءات. فمن غير المعروف للكثيرين أن هناك ثمانية أفلام مصرية قدمت حياة النبى ورسالته وجميعها

نجح بمقاييس زمنه بدرجات متفاوتة فى الإيحاء برسول الله بدون تجسيده حسبما أشار الناقد المصرى أحمد رأفت بهجت فى دراسة إليه. فتارة يتحدث الممثلون فى اتجاه الكاميرا وكأنهم يحادثون الرسول وتارة تظهر هالة ضوئية ضخمة قادمة من مكان ما وكأن النور هو محمد.

والأفلام الثمانية هى "ظهور الإسلام" إخراج إبراهيم عزالدين و "انتصار الإسلام" و"بلال مؤذن الرسول" و "بيت الله الحرام" وكلها من إخراج أحمد الطوخى وهو المخرج الذى لم ينل حظه من الدراسة رغم أهمية أفلامه ، وهناك فيلم " خالد بن الوليد" إخراج حسين صدقى و"فجر الاسلام" إخراج صلاح أبو سيف و "الشيماء" اخراج حسام الدين مصطفى فضلا عن الفيلم الرائع "هجرة الرسول" الذى أنتجته وقامت بطولته الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحى. والمؤكد أن السينما أفضل وأعمق وأبقى ألف مرة من المسلسلات والندوات والمقالات العابرة، وقد عجبت أثناء متابعة المؤتمر العالمى لنصرة رسول الله الذى أقيم بالبحرين فى ٢٣ مارس ٢٠٠٦... من أن أيًا من علماء المسلمين المجتمعين لم يطرح فكرة عمل فيلم عن الرسول أو عن الإسلام رغم أن أغلبهم قد تحدث عن ضرورة استخدام التكنولوجيا الحديثة.

وفى هذا الوقت المشحون بما يسمى بصراع الحضارات. الايصبح التعريف الواعى والعاقل بدين ما ونبيه هو أفضل فرصة للتفاهم بين البشر المختلفين؟

حرب سينمائية على الإسلام

لم أصدق عينى عندما وجدت على شبكة يوتيوب العالمية، التى تعد أهم شبكة للأفلام الشخصية على الإنترنت، وأنا أطالع أسبوعًا أطلقه عشرات الشباب تحت عنوان F إسلام هى الكلمة المعروفة عالميًا للسب. والأسبوع عبارة عن مجموعة من الفيديوهات الشخصية وأفلام الهواة الشباب جعلوا جل اهتمامهم إهانة الإسلام والمسلمين. ومنهم من يستخدم كل ألفاظ السباب والرسومات الجنسية فى معرض الكلام عن سيدنا محمد ﷺ. كل ذلك تزامن مع إعادة نشر ١٧ جريدة دنماركية وعالمية مرة أخرى الرسومات المسيئة لنبى الإسلام.

أما على مستوى أفلام المحترفين فقد بدأ أحد نوادى المحافظين الجدد فى أمريكا الترويج لفيلم تسجيلى من ستة أجزاء بعنوان "الإسلام ما يحتاج الغرب ليعرف" ورغم أن الفيلم أنتج منذ عامين، فإن يتم الترويج له للبيع من خلال الدى فى دى تلك الأيام بسعر رخيص جدًا، والهدف هو دفع الشعب الأمريكى لكراهية الإسلام من خلال الادعاء بأن الإسلام ليس دين سلام بل دين عنف يسعى للدمار وإخضاع الديانات وأنظمة الحكومات الأخرى. ويسوق ذلك على لسان مجموعة من المتطرفين الغربيين مثل: روبرت سبينسر وسيوج تريكوفيتش، واليهودية المتطرفة بات باور.

ويقول مخرجا سلسلة الأفلام الأمريكان " جريمى دافيس وبريان يدلى" إن الأفلام تفتش فى القرآن وسيرة النبى محمد لتكشف أن العنف ضد غير المسلمين هو سمة الإسلام. ويدعى الجزء الأول من الفيلم ويحمل عنوان "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أن النبى محمد ﷺ سيد حرب وأنه قتل بيده ستمائة يهودى، ويحمل الجزء الثانى اسم "الصراع"، والذى يقول عن الفيلم إنه المعنى الحرفى لفكرة الجهاد، ثم الجزء السادس والأخير الذى يسمى (دار الحرب) ويدعى أن المسلمين يرون أن أمريكا دارحرب وأن دماء الأمريكيين كلها مستباحة.

وقد أقبلت محطات التليفزيون الأمريكية على تغطية أخبار الفيلم وعلى رأسها محطة فوكس اليمينية المتشددة، ومدحت الفيلم بعض الجرائد مثل تشارلوت أوبزرفر وأتلانتا جورنال كونستيتوشان. وقد اعترض على الفيلم عدد من المنظمات الخاصة بمسلمى أمريكا مثل "كير" التى أسفرت جهودها عن توازن إعلامى محدود عند بعض القنوات التليفزيونية مثل قناة ايه بى سى الشهيرة التى أذاعت فى نهاية فبراير الماضى عدة تقارير عن تمكن مرض الإسلاموفوبيا (الخوف من الإسلام) على أذهان الكثير من الأمريكان. وكانت عدة شركات أمريكية كبرة مثل سلسلة سوبر ماركت وول مارت وشركة إيه تى أند تى للاتصالات قد قاطعتا المذيع الشهير مايكل سافيدج بعد سبه للإسلام. وكان ائتلاف (الكراهية تضر أمريكا) قد دعا الأمريكيين لمقاطعة برامج سافيدج الذى سب المسلمين بأسلوب غير معهود فى تاريخ الإعلام الأمريكى. وقد أدانت كبرى منظمات مراقبة الإعلام فى أمريكا أسلوب سافيدج واستخدامه لغة بذيئة تحض على الكراهية.

أما فى هولندا، فقد أخرج النائب الهولندى المتطرف ويلدرز فيلمًا يسمى (فتنة) يسب فيه الإسلام والقرآن تحديدًا. وأصدرت وزارة

الخارجية الهولندية بيانًا تعليقًا على الفيلم يقول وصوتبيا: "هولندا لديها تراث كبير فيما يتعلق بحرية الرأى وحرية الدين والعقيدة، تراث فيما يتعلق بالاحترام والتقبل والشعور بالمسئولية، ولا يوجد فى هذا التراث مكان لمس لا داعى له بشعور طائفة شعبية أو عقيدة معينة".
وقد أعلن النائب ويلدرز أنه سيعرض الفيلم على موقعه بالإنترنت فى حال رفض الحكومة الهولندية عرضه العام. وفعل ذلك فعلا.

الباب السادس

سياسات ومواقف الغرب اتجاه العرب وسينماهم

الفصل الأول

مواقف أمريكية

سر اهتمام شركات السينما وقنوات التليفزيون الأمريكية الكبرى بالخليج فجأة!

لم يكن الحضور الأمريكى الطاغى فى الدورة الأولى لمهرجان الشرق الأوسط السينمائى الدولى الذى أقيم بأبى ظبى إلا حلقة واحدة من ظاهرة ضخمة بدأت تطفو على السطح منذ عام ٢٠٠٨ وعنوانها هو (صناعات السينما والترفيه والتليفزيون الأمريكى توجه جُل اهتمامها إلى بلدان الخليج العربى). فالمهرجان المذكور فى بدايته لم يختر مدير أمريكى لإدارته فقط ومعه عمل أكثر من ٤٠ شخصًا أمريكيًا من المعاونين، ولا ظهرت سيطرة الأفلام الأمريكية على الأقسام الرئيسية للمهرجان فقط ، بل كان حضور هيرفى وينشتاين أحد أهم منتجى هوليود فى العشرين سنة الأخيرة هو الذى أثار الانتباه. فحضور النجوم الأمريكيين فى مهرجانات عربية مبرر ومنطقى ومستحب ، لكن حضور أهل المال والصناعة فى مهرجان عربى وليد له أكثر من مغزى.فدعك من حكاية أن هؤلاء يأتون لتشجيع السينما العربية وما يقال فى هذا الصدد. وليست للسوق العربية بأكملها أية أهمية لصناعة السينما الأمريكية بسبب قلة دُور العرض بها من جانب وسيطرة الفيلم المصرى والهندى على السوق من جانب

آخـر. إذن ليس هنـاك سبب واضح لمجيء هـؤلاء إلا محـاولة تصيدهم فرصة وجود أموال ضخمة بالملايين (وحتى بالمليارات) متوفرة للبيزنس الخاص بهم. صحيح أن مهرجان الشرق الأوسط غير اسمه بعد ذلك إلى مهرجان أبى ظبى السينمائى الدولى وبدأ يهتم بقوة بالسينما العربية. لكن مظاهراهتمام السينما والميديا الأمريكية بالخليج وتحديداً بالإمارات لم تتوقف. ومن ضمن تلك المظاهر الاتفاق الذى تم بمبلغ مليار دولار بين شركة وارنر برازر العالمية وبين مجموعة أبى ظبى للإعلام .وتم الإعلان أن ٥٠٠ مليون دولار من المبلغ لإنتاج أفلام و ٥٠٠ أخرى لإنتاج ألعاب فيديو جيم، بدون الإفصاح عن كونها ستكون أفلاماً وألعاباً عربية أو أمريكية أو من جنسيات أخرى. وأنشأت أبو ظبى للإعلام كذلك شركة أخرى اسمها ايماجنيشان برأسمال مليار دولارأخرى لتمويل أفلام أمريكية فقط مع دخول شراكات لإنتاج تلك الأفلام مع شركات ناشيونال جيوجرافيك وبارتيسيبانت وغيرها.
واتفقت شركة وارنرالكبرى أيضا مع شركة الدار الإماراتية على إنشاء مجموعة من دُور العرض السينمائية فضلا عن الإعلان عن إنفاق عدة بلايين أخرى (كما أعلنت مجلة فارايتى الأمريكية) لإنشاء مدينة ترفيهية على غرار ديزنى لاند ويونيفرسال. ولحقت بشركة وارنر عدة شركات أمريكية عملاقة قررت فتح فروع لها بالإمارات (بتمويل إماراتى فى الأغلب) منها متحف جوجنهايم وقناة إم تى فى الموسيقية، وقناة نيكلديون للشباب وهما من أهم قنوات التليفزيون المتخصصة بالترفيه الأمريكى. فضلا عن إعلان قناة باراماونت إنشاء فرع عربى لقناتها الكوميدية ولقناة فى أتش وان. والآن بعض تلك القنوات تم إطلاقها بالفعل. وإنشاء فرع عربى لكل قناة من هؤلاء يعنى - كما تقول التقارير الصحفية الأمريكية - إن تسيطر البرامج الأمريكية على كل قناة مع عدد من البرامج العربية غير معروف نسبتها من برامج كل

قناة. وظهر للوجود برامج مثل (وصلتى) على إم تى فى أرابيا الذى عرض فيديو كليبات صنعها هواة من خلال كاميرات المحمول أو كاميرا الويب. وقد وقعت قناة سى إن بى سى الأمريكية عقداً بعدة مليارات لم يفصح عن مقداره بالتحديد مع مركز دبى المالى الدولى وينص على رعاية المركز لعدد من برامج القناة منها برنامج نص ساعة عنوانه (الطريق إلى الشرق الأوسط). وكلمة الشرق الأوسط هى الكلمة الرئيسة الآن لأى تعاون أمريكى مع العرب الآن. وقامت عدة مؤسسات تعليمية أمريكية بفتح فروع لها فى الخليج مثل نيويورك فيلم أكاديمى فى أبى ظبى.

ولا ضير فى التعليم فهو أفضل استثمار. بل ولا ضير فى الاستثمار فى حد ذاته، فأى رأس مال يذهب إلى ما يربحه. لكننا نريد ألا تستخدم هذه الأموال العربية فى تمويل أعمال فنية تشوه صورة العرب والمسلمين كما فعل خلال قرن كامل ألف فيلم أمريكى. ولا نريد للأموال العربية كذلك أن ترسخ الثقافة الأمريكية فى المنطقة وتغلبها على الثقافة الخليجية والثقافة العربية عموماً. والأهم هو أننا نتمنى أن تحتذى الأموال العربية حذو أساطين اليهود الذين استطاعوا أن يستخدموا وأن يستغلوا السينما خلال القرن العشرين للدفاع عن قضاياهم والترويج لثقافتهم مما عظم دور اليهود بشكل أسطورى وجعلهم يتسيدون مؤسسات الإعلام والسينما الكبرى بالعالم.

تصريحات سينمائية حارة

أعلن المخرج الأمريكى الشهير " ستيفن سبيلبيرج" انسحابه من العمل كمستشار فنى لدورة الألعاب الأولمبية فى العاصمة الصينية بكين احتجاجًا على دعم الحكومة الصينية للسودان فى موقفها إزاء إقليم دار فور الذى يشهد انتهاكًا لحقوق الإنسان. وصرح لوسائل الإعلام قائلا: فى هذه اللحظة لا ينبغى بذل وقتى وطاقتى على الاحتفالات الأوليمبية، بل يجب توجيهها فى وضع نهاية للجرائم الوحشية التى ترتكب بحق الإنسانية.

وكان سبيلبرج قد حذر الحكومة الصينية قبلها من أنه سينسحب من موقعه وذلك عقب رسالة وجهتها له الممثلة الأمريكية ميافارو قالت فيها إن ضميرها لا يسمح لها هى الأخرى أن تسكت. ومن المعروف أن الصين مستثمر رئيسى فى قطاع النفط فى السودان كما أنها أكبر مورد أسلحة للبلد نفسه. ويقدر الخبراء أن مائتى ألف شخص قتلوا فى دارفور وتشرد اثنان ونصف مليون نسمة هناك. وأعلنت رئاسة الاتحاد الأوروبى أن الرياضة يجب ألا تستغل كسلاح سياسى. بينما أعلنت الصين أن دورة الألعاب الأولمبية يجب ألا يتم تسييسها. ووفقًا لمتحدث باسم الخارجية الصينية أن هناك دوافع خفية وراء الانتقادات الموجهة للسياسة الصينية فى دار فور. فيما أعلن الرئيس الأمريكى

السابق جورج دبليو بوش أنه سيحضر الدورة الأولمبية وأنه حدث رياضى ليس إلا. طبعًا دارفور استقلت لكن صدى تلك التصريحات تلقى بأضواء على تدخل سينمائيين عالميين فى السياسة التى تخص بلدان عربية وأحيانًا تحت مبررات إنسانية بحتة.

أما التصريح الثانى الذى أثار جدلاً كبيرًا فجاء من الممثل الأيرلندى الشهير دانييل دا لويس فى أثناء المؤتمر الصحفى لفيلمه "سيكون هناك دماء" فى مهرجان برلين السينمائى وقال: إن أسقف كانتربرى ارتكب خطأً فادحًا وذلك تعليقًا على دعوة رئيس الكنيسة الإنجليكانية ببريطانيا إلى ضرورة تبنى بعض أوجه الشريعة الإسلامية فى إنجلترا وهى الدعوة التى أثارت حفيظة الكثير من القوى ببريطانيا.

والحق أن ما يثير هنا فى تصريحات سبيلبيرج ولويس هو استخدامهما اسمهما خارج سياق أعمالهما الفنية مما أحدث تأثيرًا سياسيًا وإعلاميًا أحيانًا يتم تفسيره أنه ضد العرب أو المسلمين. وهى الظاهرة التى بدأت تتنامى فى أوساط الثقافة والإعلام فى السنوات القليلة الماضية. أليس من الأفضل أن يبتعد هؤلاء السينمائيين الكبار عن تلك الأمور الخلافية ويركزون فى البحث عن نقاط الاتفاق بين الحضارات والأديان لكى يعم السلام العالم؟

القصة الغريبة لسجن المخرج الأمريكى الإيرانى فى العراق

دخلت المباحث الفيدرالية الأمريكية شقته فى مدينة لوس أنجلوس لتبحث عن أى دليل لإدانته فوجدت علمًا أمريكيًا كبيرًا يعلو الفراش وملصقات لمغنى الريجى بوب مارلى ، وصور له بملابس البحرية الأمريكية. كل شىء يدل على أنه وطنى مخلص، فلماذا تم القبض عليه فى العراق إذن؟ هو شاب يدعى سايرس كار شغل أجهزة الإعلام بأمريكا عام ٢٠٠٥ حتى أفرج عنه بعدها بأيام.

والقصة تبدأ منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا عندما وصل طفل عمره ٩ سنوات من إيران ليعيش مع أقربائه فى مدينة سان هوزيه الأمريكية حتى حصل شهادته العليا فى التسويق ثم قرر الذهاب للعيش فى لوس أنجلوس للحصول على ماجستير فى إدارة التكنولوجيا لكن شيئًا بداخله كان يذكره بأصوله الإيرانية. واكتشف أن اسمه سايرس على اسم ملك فارسى شهير عرف فى التاريخ بأنه أول من كتب وأرسى أول وثيقة لحقوق الإنسان، ورغم انضمامه للخدمة بالجيش الأمريكى لمدة ثلاث سنوات فإن صورة الملك سايرس الأعظم كانت تكبر بداخله. ولم يكن هذا الشاب يعرف أن سايرس هذا سيكون وراء أكبر نكبة يمر بها فى حياته. فقد امتلأت وسائل الإعلام بأخبار القبض على سينمائى أمريكى من أصل إيرانى وهو فى العراق أثناء تصويره فيلمًا عن الملك الإيرانى سايرس. كان يستغل سيارة تاكسى مع مصوره السينمائى عندما استوقفته نقط تفتيش عراقية ادعت العثورمعه على مجموعة أجهزة تحديد الوقت المستخدم فى الغسالات الأوتوماتيكية والشائع استخدامها فى العراق فى السيارات المفخخة. تم اقتياده مع المصور والسائق إلى نقطة شرطة ومنها إلى معسكر للجيش الأمريكى ثم إلى سجن أبى غريب. بعد شهرين فى السجن أفرج عنه بدون أى توضيح من الإدارة الأمريكية. أما الفيلم التسجيلى الذى كان يصنعه. فقد مر عام ولم يظهر للوجود. لغز كبير قد نعرف خباياه يومًا ما ليضىء لنا زاوية جديدة فى علاقة الشرق بالغرب.

الفصل الثانى

مواقف أوروبية

الاتحاد الأوروبى يدعم السينما الفلسطينية

عندما يصبح عبور حاجز عسكرى فعلا يوميًا، فهل يستطيع هؤلاء الذين تعتمد حياتهم على العبور أن يروا الحواجز الأكبر؟ وهل الذين تحيطهم شراسة العنف من كل جهة يستطيعون اقتناء أسلحة إضافية من الثقافة والفنون؟ نعم فالسينمائيون الفلسطينيون لا يتوقفون عن صنع الأفلام الجميلة.

هانى أبو أسعد، وتوفيق أبو وائل، وعزة الحسن ونزار حسن هم على رأس المخرجين الجدد فى فلسطين الجديرين بأن نحفظ أسماءهم مع المخضرمين رشيد مشهراوى، وإيليا سليمان وميشيل خليفى ولا بد أن نذكر أيضا مؤسسة القطان الخيرية الفلسطينية (ومقرها رام الله) والتى استطاعت إقناع الاتحاد الأوروبى من خلال برنامج المشاركة من أجل السلام بتمويل مشروع كبير للمرئى والمسموع بمبلغ ٦٤٠ ألف يورو يبدأ بإنشاء قاعدة معلومات مهنية عن الأفراد والمؤسسات العاملة فى هذا المجال، والمشروع يهدف إلى تأسيس ٤٥

نادياً سينمائياً فى مدارس الضفة الغربية وقطاع غزة ومناطق ١٩٤٨ وتزويدها بمجموعات أفلام من كلاسيكيات السينما العالمية والعربى خاصة التى تتناول القضية الفلسطينية.

الجزء الثانى من المشروع هو دورة تدريبية موجهة للشباب الفلسطينى المهتم بالسينما والفيديو، ورغم مدة التدريب المحدودة (١٠ أسابيع) فإنه تمت صياغتها لتمكن المشترك من حرفتى كتابة وإخراج الأفلام القصيرة وتمت الاستعانة بالمخرج ميشيل خليفى ليقوم بالتدريب، ويمنح المشروع دعماً مالياً للمشاريع السينمائية فى مرحلة الإنتاج أو التطوير، وهناك جانب مختص بنسخ الأفلام وتوزيعها لتحقيق فهم أوسع لقضايا المجتمع الفلسطينى سواء بين الفلسطينيين أو داخل إسرائيل.

ومؤسسة القطان بدأت منذ ثلاث سنوات منح مساعدات مالية وفنية فى مجالات الموسيقى والمسرح والأدب والصحافة وغيرها بالإضافة إلى مشروعها الطموح لإقامة موقع إلكترونى للفن الفلسطينى المعاصر.

وتلك المؤسسة ليست الوحيدة فى فلسطين فهناك العديد من المؤسسات الأخرى كلها تناضل وتحقق ما قاله الشاعر محمود درويش فى إحدى قصائده: خسرت لسع الزنابق وكان ليلى طويلا، على سياج الحدائق وما خسرت السبيلا.

سينمائيون عالميون يتضامنون مع لبنان

لم تهز صور مذبحة قانا وتدمير قرى جنوب لبنان العرب والمسلمين فقط لكنها زلزلت أيضاً ضمير عدد كبير من سينمائى العالم، فبدءوا فى اتخاذ مواقف معلنة لإدانة الكيان الصهيونى ولمساعدة أهل لبنان. فمهرجان لوكارنو السينمائى بسويسرا أعلن استبعاد وزارة الخارجية الإسرائيلية من المشاركة فى المهرجان كأحد الرعاة.

وتم رفع الشعار الخاص بها من كل مطبوعات المهرجان وأعلن المركز القومى للسينما فى اليونان سحب اشتراكه فى مهرجان حيفا الذى سيقام فى أكتوبر القادم و أصدر بيانًا بأن المهرجان فقد معناه فى ظل كل هذا العنف.

أما المخرج الأمريكى مايكل مور صاحب الأفلام التسجيلية المميزة مثل " فهرنهايت ١١-٩" فقد استخدم موقعه على الإنترنت للقيام بحملة كبيرة لإدانة الرئيس الأمريكى جورج بوش كأحد المتسببين الرئيسيين فى هذه الحرب. أما المفاجأة الحقيقية فكانت فى البيان الذى أصدرته مجموعة من السينمائيين الإسرائيليين، وصلت إلى ٤٠ مخرجًا، وعبروا فيه عن تضامنهم مع زملائهم الفلسطينيين واللبنانيين الذين يعانون الحصار والتدمير من الجيش الإسرائيلى وقالوا، "نحن نعارض سياسة بلدنا القمعية والوحشية، فلا شىء يبرر استمرار الاحتلال فى فلسطين وقتل الأبرياء فى لبنان وسنستمر فى التعبير عن ذلك بأفلامنا وممن وقعوا على البيان كارين يدايا وافى مغربى وسيمون بيتون الحائزون على جوائز عن أفلامهم من مهرجان كان السينمائى فى أعوام سابقة" . ومن جانب آخر بدأ سينمائيون من دول العالم مبادرة بعنوان "دعونا نفعل شيئًا" لصنع أفلام لا تزيد مدتها على خمس دقائق من وحى مأساة لبنان شارك فيها مخرجون من الأرجنتين ونيوزيلندا وزمبابوى وغيرهم.

وفى الولايات المتحدة اجتمع عدد من الممثلين من أصول عربية يتقدمهم تونى شلهوب (الفائز بالجولدن جلوب) لعمل إعلان تم نشره فى جريدة واشنطن بوست يطلبون فيه من الإدارة الأمريكية وقف إطلاق النار بلبنان، وفى إنجلترا قادت مجموعة من السينمائيين على رأسهم ديانا ألين وكيرتس براون حملة لإرسال كاميرات ديجيتال للبنان لتصوير ما لحق بها من دمار لاستخدام ذلك فى إظهار الحقائق للمجتمع الدولى.

مهرجان مونبيليه الفرنسى: هل هو استعمار ثقافى جديد؟

"اكتسب مهرجان مونبيليه السينمائى سمعته باعتباره أهم مهرجان متخصص فى أفلام دول البحر المتوسط، لكن تأمل دورة عام ٢٠٠٦ للمهرجان تؤكد أنه تراجع كثيرًا وأصبح مجرد مهرجان للترويج للفرانكفونية وللدائرين فى فلكها".

عندما ألقيت نظرة عامة على برنامج المهرجان على الإنترنت قبل سفرى، انزعجت كثيرًا من قلة عدد الأفلام العربية التى لم تتجاوز أصابع اليد فى مهرجان يعرض فى أقسامه المختلفة ما يزيد على ٢٥٠ فيلمًا، وتعجبت أيضا عندما وجدت عدم الأفلام الإسرائيلية يزيد بضعفين على عدد الأفلام العربية. لكنى تذكرت أن هذا المهرجان ذاته هو الذى كرم فنانينا فاتن حمامة ونور الشريف وداود عبد السيد وغيرهم. فقلت إن تلك فى حد ذاتها إضافة كبيرة لا بد أن نتذكرها للمهرجان. لكننى عندما وصلت للمدينة الساحلية التى يقام بها المهرجان فى جنوب فرنسا، تجددت صدمتى عشرات المرات فوجدت مسابقة للأفلام الطويلة للمهرجان أغلبها فرنسى أو إنتاج مشترك مع فرنسا. حتى الفيلم اللبنانى "الرجل الأخير" للمخرج غسان سلهب معروض باسم فرنسا، والفيلم المغربى "حواف القلب" مخرجه هشام عيوش شقيق المخرج المغربى نبيل عيوش المعروف بانتمائه الكبير إلى الثقافة الفرانكفونية ومولده وحياته كلها بفرنسا. وفى بانوراما الأفلام الطويلة لم يتواجد سوى فيلم عربى واحد هو "تحت السقف" للسورى نضال الدبس. ولجنة التحكيم للأفلام الطويلة مكونة من خمسة ثلاثة منهم فرنسيون بالإضافة لبلجيكى هو مؤسس مهرجان الأفلام الفرنكفونية فى نامور. ولجنة التحكيم للأفلام التسجيلية قوامها ثلاثة من الفرنسيين، ولجنة تحكيم الأفلام القصيرة من خمسة منهم اثنان من فرنسا وإسرائيلية ولجنة تحكيم مسابقة السيناريو مكونة من خمسة من الفرنسيين بدون أى جنسية أخرى.

وعندما نتأمل مليًا أفلام المهرجان لا بد ألا ننخدع فى كون بعضها يحمل جنسية بلاد البحر المتوسط، ككرواتيا أو حتى إسبانيا، فأغلبها إنتاج فرنسى كفيلمى المسابقة "أيام أغسطس" و"مكتب بريد الحدود".

وفى مسابقة السيناريو حدث شيء عجيب، حيث لم تخجل اللجنة فى أن يعلن أعضاؤها على الملأ أن اللجنة لم تنظر بعين الاعتبار لأى فيلم سيكون ناطقًا بالإنجليزية بل واعتبرت ذلك من عيوبه.والملاحظة الكبيرة أيضا أن أغلب (وليس كل) السينمائيين والصحفيين الذين يدعوهم المهرجان من المتحدثين بالفرنسية، ويبدو أن ذلك من الشروط الشائعة للمهرجان. إن فرنسا التى كانت خلال القرن العشرين قلعة حقيقية للتنوع الثقافى ،هل أصبحت لا تقبل هذا التنوع الآن إلا فى إطار الفرانكفونية؟ والفرانكفونية بالمناسبة مختلفة عن الثقافة الفرنسية المتنوعة والمترامية الأطراف و التى لها احترامها من شعر وموسيقى وسينما، فى حين ان الفرانكفونية لا تجمع بين أعضائها إلا باعتبارهم جميعًا من المتحدثين بالفرنسية ؟ وهل كل متحدث بالإنجليزية يعبر عن الثقافة الأنجلوسكسونية أو الأمريكية بالضرورة؟ إن صراع التأثير الثقافى الذى تحاول أن تكسبه فرنسا من أمريكا لن يأتى أبدًا من مثل هذه المهرجانات أو الاتجاهات الفكرية، إنما من الاحترام الحقيقى للثقافات والديانات والأعراق الأخرى أيا كانت درجة اختلافها عن الثقافة الفرنسية. إن من يفعلون ذلك لا يعرفون تاريخ فرنسا الحقيقى والدور الذى دوما لعبته فى التعريف بالثقافات الأخرى، هل الآن قبول الثقافات الأخرى مشروط بأن يكون أصحابها فرانكفونيين؟ وهل العربى الوحيد الجيد فى مثل هذه المهرجانات هو العربى الممسوخ ثقافيًا ؟

الباب السابع

آخر الخيط عام ٢٠١٤

الفصل الأول

موريتانيا على رأس السينما العربية

رغم قلة عدد الأفلام الطويلة القادمة من العالم العربى لدورة مهرجان كان السينمائى الدولى عام ٢٠١٤، فإنها استطاعت جميعها أن تخطف أنظار رواد المهرجان والصحافة العالمية. وعلى رأس تلك الأعمال الفنية (تمبكتو) للمخرج الموريتانى عبد الرحمن سيساكو. ورغم أن بلده الأصلى لا يمتلك صناعة سينما بالمعنى الحقيقى فإنه استطاع من خلال أربعة أفلام سينمائية أن يحفر لنفسه اسمًا بين مخرجى العالم المهمين. فى فيلمه الجديد يثبت سيساكو أنه سينمائى كبير مهموم بالقضايا الإنسانية الكبرى ويمتلك موهبة التعبير المتفرد عنها بخصوصية. فى لقطاته الأولى، يطالعنا الفيلم بغزال ضعيف البنية يحاول الهروب من قناصيه الذين نتعرف عليهم سريعًا إنهم جماعة متشددة تحكم إحدى المدن بالقرب من تمبكتو الواقعة شمال مالى. يبدو من لغتهم العربية الفصحى أنهم هجين من شخصيات عربية وإفريقية تنتمى إلى هذه الجماعة الغريبة على أهل المكان والتى تطبق حكم الحديد والنار عليهم. يجبرون سيدة على ارتداء قفازات وترفض لأنها بائعة سمك وتحتاج ليديها حرة. ويحكمون على آخرين بالجلد لقيامهم بالغناء، ويزوجون أحدهم عنوة من التى كانت تغنى رغم اعتراض أمها، ويرجمون رجل وامرأة فجأة لاكتشافهم علاقة بينهما،

بل ويمنعون الصبية من لعب كرة القدم لأنها (حرام) فى عرفهم. يسيطرون على مدينة صحراوية ويراقبون سكانها من فوق الأسطح وفوق الطرقات، وهم يرتدون زيًا عسكريًا مكتوبًا عليه الشرطة الإسلامية. حتى المساحات الصحراوية المجاورة لم تسلم منهم. فيقدم الفيلم فى حبكته الرئيسية رجلاً من قبيلة الطوارق (كيدان) يعيش فى خيمته مع زوجته ساتيما وابنته تويا وراعى بقره المراهق (ايسان).ويصر الرجل على البقاء تمسكًا بمدينته رغم هجرة كل جيرانه، ويبدو زعيم التنظيم المتشدد يتحرش بزوجته وقت غيابه، ويراودها عن نفسها رغم ادعائه الفضيلة وتطبيق الشريعة هو وزملاؤه. نجح سيساكو فى صنع صورة سينمائية بليغة وشاعرية ذات قدرة على ترجمة بساطة روح سكان المدينة وقسوة من يحتلوهم. لكن مشكلة الفيلم الرئيسية فى التشظى وهجوم الحكايات على السرد بشكل مفاجئ بدون تمهيد إن حتى هارمونى وتجانس فيما بينها. ففجأة ننتقل من حكاية كيدان والصياد امادو الذى قتل بقرته إلى سيدة إفريقية أقرب للمجذوبة تقوم بعمل طقوس وإشارات غريبة لرجل فرنسى يرقص رقصة تعبيرية. طبعًا كل تلك الحكايات تنتمى للمكان وللموضوع لكنها لا تتداعى بطريقة ما أو تتناقض أو تنتمى لأى وسيلة فنية كالمجاز أو المفارقة. طبعا لكل فيلم قانونه الداخلى لكن الفيصل أن نستشعر هذا التجانس والربط وهو ما هو مفتقد فى (تمبكتو). العيب الأخير أن الفرضية الدرامية الأخرى التى بني عليها الفيلم الجانب الأكبر من حبكته ليست مرتبطة بقضية الفيلم. إن كيدان يقتل الصياد أمادو انتقامًا منه لقتل بقرته، ويقبض عليه المتشددون لتنفيذ حكم الإعدام عليه لكن بعد سؤال أسرة القتيل عما إذا كانوا سيصفحون عنه أم لا فترفض أمه. أهدر الفيلم الكثير من وقته لهذه القصة رغم أنها لا تخدم هدف

الفيلم وهو إظهار مدى التخلف والجهل والظلم الذى يمارسه المتطرفون على أهالى القرية. حتى صوت شيخ المسجد المستنير الذى يرفض تلك الجماعة ويناقشهم بالحجة أن ما يفعلونه بعيد عن الإسلام الذى يحض على التسامح والبعد عن العنف، جاء باهتًا وكان يحتاج لمزيد من العناء ليدخل فى دراما الأحداث ويؤدى بشكل طبيعى بعيد عن الأسلوب الجاف الذى ظهر به. ورغم وجود مشاهد قاسية على مرهفى الحس كالرجم والجلد، لكن تظل بالفيلم العديد من اللحظات المضيئة مثل رعى الطفل للأبقار بحب ودأب ومشاعر الطفلة الحانية نحو أهلها وصحرائها، وبكاء الأب الذى لا يخاف الموت لكن يحزن لأنه لا يستطيع أن يرعى ابنته بعد موته.

الفيلم العربى الآخر الذى جلب الدموع والآهات كان (ماء الفضة. بورتريه عن سوريا) للمخرجين السوريين أسامة محمد، ووئام بدرخان. كان عرض الفيلم بكان مليئًا بالمشاعر الجياشة التى عبر فيها المخرجان عن اشتياقهما للعودة لوطنهما لأنهما يعيشان بباريس. لكن الحكاية بالفيلم حكاية أخرى، إذ اعترف أسامة محمد الراوى الأول للأحداث عن إقراره بصعوبة صنع فيلم عن الثورة السورية وما تلاها، ولهذا امتلأ الفيلم فى ثلثه الأول بمشاهد تسجيلية من اليوتيوب صورها سوريون منذ بداية انطلاق ثورتهم فى ١٥ مارس ٢٠١١ خاصة عندما انطلقت من مدينة درعا وساندها السوريون فى كل المدن، ثم كيف تطورت الأحداث حتى استخدم بشار الأسد السلاح الثقيل. يعترف أسامة أيضا أن فيلمه شارك فى إخراجه ألف سورى وسورية صوروا المأساة لحظة بلحظة خاصة بالتليفونات المحمولة، حتى القتلة يصورون من يقتلونهم ويصورون أنفسهم فى حالة تعذيب الآخرين. إن الأمر يحتاج للتساؤل الفلسفى العميق عن أثر التكنولوجيا وسهولتها

على البشر، هل فجرت رغبات السادية والمازوخية المختبئة بداخلهم. ونمضى من مظاهر لاستعراض للجثث لآخر حتى نصل للجزء الأكثر حميمية الذيميز الفيلم وهو علاقة المخرجين ببعضهما والتى تكونت عبر الإنترنت وكان أحد نتاجاتها هذا الفيلم. صداقة فى عالم افتراضى بين وئام بدرخان ذات الأ صول الكردية التى صورت مدينتها حمص بعد أن تحطمت تمامًا وهجرها أغلب أهلها ولم يبق فيها إلا الحيوانات التى احترق جسمها وقطعت أرجلها (!)، وبعض العائلات التى سمحت لوئام أن تجمع أطفالهم فى مدرسة تم صنعها لتعويضهم نقص كل شيء حولهم. تقول المخرجة إن بعض العائلات سحبت أبناءهم الصغار من مدرستها لأنها ليست محجبة ، وتتابع مخرجة أحد الأطفال شديد العذوبة وتطلق عليه الكافر الصغير. لا أعرف حقيقة ما علاقة ما قالته المخرجة بمأساة الوضع فى سوريا، فإذا كانت تقصد الإشارة إلى انتشار الجماعات الإرهابية مثل داعش وجبهة النصرة على بعض المناطق السورية فكان عليها بالأحرى أن تواجه ذلك مباشرة. ولذلك تكمن مشكلة الفيلم أيضا فى ضعف التجانس بين مقاطع الفيلم، وعدم وجود وحدة أسلوبية بين أجزائه، والتعليق الصوتى المتفذلك الذى لا أضاف شعرية ولا أظهر جانبًا من الحقيقة فظل فى منطقة رمادية من الكلام المجوف الأشبه بنصوص الهواة الذين يبدءون التجارب الأدبية. يحسب للفيلم تذكيرنا بوحشية الأسد ورجاله، والتأكيد على صمود الشعب السورى الذى قدم تضحيات تفوق الخيال حفاظًا على وطنه الذى أصبح لعبة الأمم. شخصيًا لم أخرج من الفيلم بتحليل سياسى عميق أو برؤية جمالية استثنائية، بالذات أن أسامة محمد أصر على برود معملى سجن الفيلم فى سياق عقلى بارد، لكن يحسب للفيلم سبق الإصرار على محاولة صنع فيلم عن الوضع المعقد للبلد الشقيق فى الوقت الذى يتقاعس فيه الكثير من الموهوبين

السوريين عن المشاركة بسلاح الفن فى معركة تحرير وطنهم من الفاشية والإرهاب الدينى والألعاب السياسية العالمية.

فى قسم هامشى للمهرجان عرض الفيلم العربى الثالث بنجاح كبير وهو فيلم (من يعيش)، للفرنسية ماريان تارديو. وهو عن شخصية شريف الفرنسى من عائلة عربية و المغلوب على أمره فى إحدى ضواحى المدن - ولعب الدور بأداء مرهف الفرنسى الجزائرى رضا كاتب ابن أخ الكاتب الأشهر كاتب ياسين- حيث يعانى شريف أثناء عمله كحارس لإحدى أسواق السوبر ماركت من مضايقات صبية مارقين من أصول عربية وإفريقية يريدون الاشتباك معه يوميًا. ويظهر الفيلم كم المعاناة التى يلقاها عرب فرنسا حتى الآن فى الحصول على حياة كريمة بالاستعداد لخوض امتحان العمل كممرض، والمحزن أن من يمنعهم من ذلك ليس فقط المجتمع الفرنسى غير العادل معهم، لكن أبناء بلادهم ومهمشين مثلهم. يبدو شريف رقيقًا وناجحًا فى عمله السابق كحارس بمدرسة الأطفال، فيقع فى الحب سريعًا مع مدرسة أطفال بنفس المدرسة ويحاول الحفاظ على الحب، فيطلب من (ديدا) أحد أبناء الحى الذى يعيش به أن يمنع عنه مضايقات المراهقين، فيشترط ديدا عليه أن يفصح له عن موعد وصول سيارة بضاعة كبيرة قادمة للمكان الذى يعمل به، يقبل مضطرًا، ولكن تتطور الأمور فيقتل أحد أفراد عصابة ديدا فى الاشتباك مع الحراس. يهرب ديدا وتحوم الشكوك حول شريف لكن الفيلم ينتهى بنجاته بعد أن كاد يذهب بلا رجعة للسجن. المعالجة الرقيقة والبساطة الأسلوبية ومعرفة المخرجة بما تريد أن تحكى جعلت شحنة المشاعر تصل بقوة للمتفرجين الذين تفاعلوا إلى أقصى درجة مع الفيلم.

أما آخر الأفلام ذات البعد العربى القوى جاءت على يد النجمة

المكسيكية الأمريكية سلمى حايك التى قدمت سهرة كاملة مع مقاطع من فيلمها الذى تنتجه بعنوان النبى عن كتاب الشعر والفلسفة للكاتب اللبنانى الكبير جبران خليل جبران الذى أمضى - هو الآخر - جزءًا كبيرًا من حياته بأمريكا. الجميل أن الفيلم هو من أفلام الرسوم المتحركة، وقد أدهشتنا المقاطع التى عرضت من الفيلم لأنها تأتى من ٩ مخرجين عالميين شاركوا فى صنعه، تركت لهم حايك الفرصة لكى يختار كل منهم الأسلوب الذى يريده، وخرج الناتج متوهجًا ومتوحشًا إبداعيًا فى الوقت ذاته. كتاب جبران عبارة عن مقاطع كل منها تحمل فلسفته فى الحياة، وكلماته تحتاج لعقول كبيرة عميقة لفهم واستشعار ما يقصد ما شاهدناه يشى بأن الفيلم القادم سيصل للأطفال قبل الكبار لذكاء اختيار رؤيته الفنية، حيث تحكى الأحداث من خلال طفلة شقية، يحكى لها قريبها الرسام مصطفى حكايات لكى تهدأ. وفى كل حكاية حكمة وبأسلوب أخاذ. فى سهرة عرض مقاطع فيلم جاء جيرار ديبارديو خصيصا لكى يقرأ مقاطع من الكتاب وكذلك الممثلة الفرنسية جولى جاييه وقالت حايك إنها كانت تتمنى تقديم أى عمل يعبر عن اعتزازها بأصلها اللبنانى وبكونها امرأة عربية، ولم تجد لسنوات طويلة دورًا يمنحها ذلك، ولذلك أنتجت هذا الفيلم بمفردها بميزانية تبلغ ١٢ مليون دولار.

أحمد عاطف

سيرة ذاتية مختصرة

- مدير تحرير جريدة الأهرام المشرف على أقسام الفنون ورئيس قسم السينما.
- مخرج سينمائى وناقد سينمائى ومحاضر دولى فى السينما له سمعة دولية جيدة.
- من مواليد ١٧-٤-١٩٧١.
- يراه الكثير من النقاد من أكثر السينمائيين موهبة فى جيله الآن من خلال أفلامه التى عبرت عن الواقع المصرى ، ويعده بعضهم امتدادًا للمخرجين صلاح أبو سيف وعاطف الطيب رواد مدرسة الواقعية فى السينما المصرية.
- رئيس مؤسسة السينما العربية (مجتمع مدنى). ورئيس مهرجان البحر الأحمر لكل الشاشات (تحت الإنشاء).
- يشغل الآن منصب السكرتير الإقليمى لاتحاد السينمائيين الأفارقة.. ومستشار العلاقات الدولية لنقابة السينمائيين. ومستشار مهرجان الاسكندرية السينمائى وعمل مديرًا تنفيذيًا لمهرجان القاهرة السينمائى.

- من أهم إنجازاته أنه كان عضو لجنة تحكيم النقاد بمهرجان كان السينمائى ٢٠١١ (أهم مهرجانات السينما العالمى) وكان ضمن المصريين القلائل الذين نالوا هذا الشرف.
- تخرج فى المعهد العالى للسينما بالقاهرة عام ١٩٩٣م وحصل على كورسات سينمائية من فرنسا وإسبانيا وألمانيا قبل أن يدرس الماجستير كلية السينما بجامعة جنوب كاليفورنيا بهوليوود بأمريكا عام، بالإضافة لدراسته ١٧ دورة دراسية قصيرة بأمريكا فى معاهد أخرى فى مختلف أفرع الفنون. ويعد لدرجة الدكتوراه فى الفلسفة فى السينما بطريقة VAEمع جامعة السربون بفرنسا.
- له دراسة عن (السينما والثقافة فى دساتير العالم) سبق له نشرها بجريدة الأهرام.
- له مشروع طموح هدفه تطوير الثقافة والفنون بمصر عنوانه: الثقافة المصرية ٢٠٣٠
- من أكثر السينمائيين تمثيلا لمصر فى المحافل الدولية فى العشرين سنة الأخيرة.
- عرضت أفلامه الروائية والتسجيلية فى أكثر من ٥٠ مهرجانًا سينمائيًا دوليًا وحصل على العديد من الجوائز من مهرجانات منها: امريكية (واشنطن) وإفريقية (بوركينا فاسو) وأوروبية (مارسيليا).
- يحارب منذ سنوات فى أن تسهم السينما المصرية فى ترقية الذوق ورفع الوعى.
- يعمل فى مؤسسة الأهرام منذ ٢٢ عامًا محررًا متخصصًا فى السينما وعمل رئيس قسم السينما بجريدة الأهرام بعد الثورة. وشارك فى تأسيس جريدة الأهرام ابدو الناطقة بالفرنسية عن مؤسسة الأهرام.

- قام بتغطية أكثر من أربعين مهرجانًا سينمائيًا دوليًا لصحف ومجلات مؤسسة الأهرام وناقش بقوة فى كتاباته كل ملفات السينما المهمة والشائكة فى مصر.

- عضو لجنة التحكيم الدولية بمهرجانات سينمائية أخرى مثل المهرجان الوطنى بالمغرب ٢٠١١ وطهران ٢٠١٠ ومسابقة السيناريو الوطنية بالجزائر ٢٠٠٨ وميلانو ٢٠٠٠ وقرطاج ١٩٩٤.

- فيلمه الروائى الأول (عمر ٢٠٠٠) حصل من خلاله على اثنتى عشرة جائزة سينمائية محلية ودولية ووصفه كبار النقاد كسمير فريد وإبراهيم العريس بأنه صاحب اتجاه جديد فى السينما المصرية فضلًا عن نشر مجلات عالمية كفارايتى الأمريكية نقدًا إيجابيًا للفيلم.

- أدار كمخرج أميز المواهب بالسينما المصرية مثل: منى زكى ، هانى سلامة، خالد النبوى، سمية الخشاب، أحمد حلمى، ماجد الكدوانى، هند صبرى باسم سمرة، هنا شيحة. ريهام عبد الغفور .

- وقبله أخرج مجموعة من الأفلام التسجيلية التى تقدم الواقع المصرى بكل جرأة. من ضمنها أفلام عن عمالة الأطفال، إدمان المخدرات والعمل الخيرى.

- فاز سيناريو كتبه بجوائز من المنظمة الدولية للفرانكوفية ، الاتحاد الأوروبى ، صندوق بالز الهولندى. وأصبح هذا السيناريوهونواة فيلمه الروائى الثالث (الغابة) الذى قام بإخراجه وبإنتاجه مشترك مع هولندا وفرنسا والاتحاد الاوروبى وعرض هذا الفيلم فى ٣٢ مهرجانًا عالميًا منها فوريم مهرجان كان السينمائى الدولى للتجارب المستقلة ومهرجانات هامبورج بألمانيا وصورة الشعوب بالبرازيل والفيلم العربى

ببلجيكا وأمريكا والرباط بالمغرب وغيرها وحصل على جائزتى أفضل صوت وأفضل فيلم يعبر عن المدينة بمهرجان فسباكو ببوركينا فاسو(أكبر وأعرق مهرجان سينمائى بقارة إفريقيا) و جائزة لجنة التحكيم الخاصة بمهرجان واشنطن للسينما المستقلة.

- بالإضافة لتصنيفه من مجلات أمريكية أحد الأفلام العربية التى أصبحت عالمية - بحق - عام ٢٠٠٨ بسبب عرضه فى مهرجانات دولية عديدة

- قرر إنتاج وإخراج ثلاثية أفلام روائية عن الثورات العربية . وانتهى بالفعل من أول فيلم منها عن الثورة السورية بعنوان (باب شرقى) الذى يحقق نجاحًا كبيرًا بعرضه فى المهرجانات الدولية.

- انتهى من تصوير الجزء الثانى من الثلاثية وهو فيلمه الطويل الجديد (قبل الربيع) عن ثورة ٢٥ يناير المصرية.

- عمل منتجًا منفذًا لأفلام تسجيلية أوروبية إنتاج التليفزيون الفرنسى والكندى عام ٢٠٠٣ - عمل مستشارًا للاتحاد الأوروبى فى مجال السينما.

- عمل لمدة عشر سنوات مراسلاً لمجلة اتحاد السينمائيين الأفارقة ونائب رئيس جمعية نقاد السينما المصريين عام ٢٠٠٠م ونشر مقالات بمطبوعات عربية ودولية مثل اكران توتال.

- كتب وشارك فى كتابة عدة كتب سينمائية منها سينماتوجراف لوميير وشارك فى أول موسوعة للسينما الأوروبية باللغة العربية..

- الناقد المصرى الوحيد الذى اشترك فى استفتاء معهد الفيلم البريطانى (سايت أن ساوند) لأفضل الأفلام فى تاريخ السينما.

- اشترك فى إدارة عدة مهرجانات سينمائية وكان نائب مدير مهرجان الإسماعيلية للأفلام التسجيلية عام ١٩٩٥م ، ومدير البرنامج

الثقافى لمهرجان القاهرة السينمائى الدولى ١٩٩٦م ، ومدير المهرجان الأول لأفلام الاتحاد الأوروبى بمصر ٢٠٠٥م. عمل مستشارًا لاختيار الأفلام العربية بمهرجانات ميلانو (إيطاليا) ، فينسيا (إيطاليا) ، بونتان (فرنسا).

- محاضر دولى ويدرس كورسات بقطر والسويد وإسبانيا ومصر وحاضر فى مؤتمرات لمنظمات الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى مثل ميد ديجيتال وصوفيا بلاتفورم الذى شارك فيه ٨ وزراء أوروبيين وافتتحه سكرتير عام الأمم المتحدة.
- العضو المصرى الوحيد بلجنة تحكيم المنحة الأمريكية السنوية للفنون (فولبرايت) من ٢٠٠٧ حتى ٢٠١٢.
- يحضر لمشروع عمره فيلم الاندلس (عن التسامح الدينى فى الأندلس) و الذى أنفق سبع سنوات فى تجهيزه من البحث والدراسة.

وقد تم اختيار السيناريو بالتصفيات النهائية لمسابقات السيناريو بمهرجانات دبى ومونبيلييه وغيرها.

ثم حصل السيناريو على جائزة أفضل مشروع سينمائى فى حوض البحر المتوسط فى مسابقة موفى ميد بمارسيليا بشهر يناير ٢٠١٠.

- نشر أول ديوان لأشعاره بالعامية المصرية بعنوان (بنت الخير) بمقدمة للشاعر بهاء جاهين.
- عمل بشكل لصيق مع عدد من كبار المثقفين والفنانين المصريين أمثال: عبد الوهاب مطاوع - محمد سلماوى - طارق على حسن - لطفى الخولى - صلاح أبو سيف - سعد الدين وهبة - سمير فريد.
- أخرج حفلات افتتاح بطولات مصرية وعربية مثل البطولة العربية لكرة القدم الخماسية وافتتاح مهرجان سينما الأطفال وغيرها.

الفهرس

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

ت : ٢٥٧٧٥٠٠٠ - ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤ - ٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٢٣٧٣٣٢

مكتبات ووكلاء
البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب

شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة- بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣

ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب

بيروت - الفرع الجديد - شارع الصيدانى - الحمراء - رأس بيروت - بناية سنتر ماريبا

ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢

فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع - سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد - المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦ - الجمهورية العربية السورية

تونس

المكتبة الحديثة. ٤ شارع الطاهر صفر- ٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض (ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - تقاطع طريق الملك فهد مع طريق العروبة - هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨ .

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية - شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة : ٢١٤٨٧ - ت : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ - ٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ص. ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - ت: ٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبد الرحمن السديرى الخيرية - الجوف - المملكة العربية السعودية - دار الجوف للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع

ت: ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١

فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع

عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين

ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٢٦ +

تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +

ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب